38
سلسلة الدروس الثقافيّة

إلا رحمة للعالمين



مركز نون
للتأليف والترجمة


إلا رحمةً للعالمين

جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام

هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠

ص.ب. ٢٤/٥٣ . ٢٥/٣٢٧



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتاب: إلّا رحمةً للعالمين

تأليف: مركز نون للتأليف والترجمة

نشر: جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

الطبعة الأولى - ٢٠١٢تشرين الثاني م - ١٤٣٤ هـ

إلاّ رحمةً للعالمين



مركز نون للتأليف والترجمة


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمـد للّه ربّ العالميـن والصـلاة والسلام علـى المبعوث رحمـة للعالمين أبي القاسم محمّد بن عبد الله وعلى آله الطاهرين.

روي عـن الإمـام عليّ عليه السلام : «**إلى أن بَعَثَ الله سُبحانَهُ مُحمّدا رَسولَ الله** صلى الله عليه وآله وسلم **مَأخوذا عَلَى النَّبِيِّينَ ميثاقُهُ، مَشهورَةً سِماتُه، كَريما ميلادُهُ، وأهلُ الأرضِ يَومَئذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وأهواءٌ مُنتَشِرَةٌ، وطَرائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَينَ مُشَبِّهٍ للّه بِخَلقِه، أو مُلحِدٍ في اسمِهِ، أو مُشيرٍ إلى غَيرِهِ؛ فَهَداهُم بِهِ مِنَ الضَّلالَةِ، وأنقَذَهُم بِمَكانِهِ مِنَ الجَهالَةِ**»[1].

كانـت قد تصرّمت قرون طويلة على مبعث نبيّ الرحمة والصدق والمحبّة، عيسى المسيح عليه السلام ، وكان المجتمع البشري قد تعرّض لتغييرات فكرية وعقيدية، وتحوّلات أخلاقية واجتماعية عجيبة.

في مثل هذه الظروف وبعد عصور مرّت على نشر عيسى المسيح عليه السلام للهداية الإلهيّة، بعث الله تعالى محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم بدين مبين، وقوانين ثابتة، وآيات محكمة، وأنوار مشرقة، ومشعل متوقّد، وعلم غزير مزيل للجهل ومحقّق للوعي والفطنة والمعتقدات

(١) نهج البلاغة، السيّد الرضي، ج١، ص٢٥.

العميقــة الصلبة، كي يؤسّس مجتمعاً قرآنيّا مفعمــاً بالقيم الإلهيّة الإنسانيّة، ومليئاً بالمــكارم الأخلاقية، ويقود الإنسان نحو الهدف الأسمى والمقصد الأعلى. وقد كان نبيّنــا الأعظم محمّــد ﷺ نفسه مظهر هــذه الحقائق السماوية، ومجسّــداً للتعاليم القرآنية والقيم الإلهيّة الأخلاقية.

لقــد كان رســول الله ﷺ أفضل الوجــوه الإنسانيّة وأكملها وأقربهــا إلى القلوب. والتأمّــل فــي سيرته والنظر في شخصيته والتدبّر في خُلقــه وخصاله، يوقع الإنسان في الدهشة والحيرة.

يقول الإمام عليّ عليه السلام:

«مَــن رَآه بُدَيهَــةً هابَهُ، ومَــن خالَطَهُ مَعرِفَةً أحَبَّــهُ، يَقولُ ناعِتُهُ: لَــم أرَ قَبلَهُ ولا بَعدَهُ مِثلَهُ»[1].

وهكــذا، فمن الطبيعي أن تكتسب هــذه الشخصيّة المشرقة البعــد العالميّ، وأن تضمر جميــع شخصيّات العالم تحت ظلّ نوره، وأن يطأطئ جميع الأبطال والعظماء الّذيــن يمثّلــون القمم الشاهقة فــي تاريخ البشريّــة، رؤوسهم أمام عظمتــه وسموّه، وتتمهّــد أرضية تحقّق الوعــد الإلهيّ في عولمة هذه الشريعة، وسيــادة تعاليم الدِّين الّذي جاء به هذا الرجل العظيم الّذي لا نظير له في التاريخ، حيث قال تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[2].

وهكــذا فقد أذعن أصحــاب القلوب الطاهرة أمام الحــقّ، وتحلّقوا كالفراشات حول شمعــة وجــود النبــيّ ﷺ، واستماتوا فــي الدفاع عنه. وأمّــا أصحاب القلــوب المريضة والنفوس المظلمة فقد اصطفّوا في ذلك العصر وما بعده وعلى مرّ التاريخ معلنين الحرب علــى تعاليمه السامية، وسعــوا بأساليب مختلفة من أجل النيل مــن شخصيّة النبيّ ﷺ

---

(١) أمالي الطوسي، الشيخ الطوسي، ص٣٤١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

وتحريف وقلب صورته الجميلة، ولم يألوا جهداً منذ أقدم العصور حتّى القرون الأخيرة، حيث ظهرت واتّسعت دراسـات المستشرقين وبحوثهم في اختلاق الأكاذيب والأساطير والأقاويل الباطلة ونشرها، وبذلوا ما استطاعوا من جهد في هذا الاتّجاه.

مـن هنـا فقد كان هذا الكتـاب «**إلّا رحمـة للعالميـن**» محاولـة للتعريف برسول الرحمـة ونبيّ الأمة ﷺ ودفاعاً عنه وذكراً لمحامده وخصاله، فيه ذكرى للمؤمنين، وتوعيـة للباحثيـن، وزاد إلـى يوم الدين، نتقـرّب من خلاله إلى اللّه تعالـى، ونسأله سبحانـه أن يعجّل بتحقيق وعده وأن يظهـر خلَف نبيّه الحجّة بن الحسن المهديّ عجّل الله فرجه وأن يجعلنا في جنده إنّه سميع مجيب.

مركز نون للتأليف والترجمة



محمّد ﷺ نبيّ الرحمة

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[١].

﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[٢].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

تمهيد

نبيّ الرحمة في سطور: ولد خاتم النبيّين محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب ﷺ في السابع عشر من شهر ربيع الأوّل من عام الفيل، توفيّ أبوه وهو جنين، ثمّ استرضع في بني سعد، ورُدّ إلى أمّه وهو في الرابعة أو الخامسة من عمره. وقد توفّيت أمّه حين بلغ السادسة فكفله جدّه عبد المطلب واختصّ به وبقي معه سنتين ثمّ ودّع جدّه الحياة بعد أن أوكل أمر رعايته إلى عمّه الحنون أبي طالب، حيث بقي مع عمّه إلى حين تزوّج من خديجة وهو في ريعان شبابه، وكان قد عُرف بالصادق الأمين، وقد ارتضته القبائل المتنازعة لنصب الحجر الأسود لحلّ نزاعها فأبدى حنكةً وإبداعاً رائعاً أرضى به جميع المتنازعين، وحضر النبيّ ﷺ حلف الفضول بعد العشرين من عمره. وبُعث بالرسالة وهو في الأربعين، وبعد مضي ثلاث سنوات من بداية الدعوة إلى الله، أمره الله بإنذار عشيرته الأقربين ثمّ أمره بأن يصدع بالرسالة ويدعو إلى الإسلام علانية ليدخل من أحبّ الإسلام في سلك المسلمين والمؤمنين وأسّس النبيّ الخاتم ﷺ أوّل دولة إسلامية فأرسى قواعدها في السنة الأولى بعد الهجرة وبنى المسجد النبويّ الّذي أعدّه مركزاً لدعوته وحكومته.. وكان العام العاشر عام حجّة الوداع وآخر سنة قضاها النبيّ ﷺ مع أمّته وهو يمهّد لدولته العالمية ولأُمّته الشاهدة على سائر الأمم، وتوفّي النبيّ ﷺ في ٢٨ صفر سنة

إحدى عشرة هجرية بعد أن بلّغ الرسالة وأحكم دعائم دولته الإسلامية حيث عيّن لها القيادة المعصومة الّتي تخلفه متمثّلة في شخص الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

١- محمّد صلى الله عليه وآله وسلم نبيّ الهدى والرحمة

تسعى بعض وسائل الإعلام الغربية في السنوات الأخيرة - بحجّة حرّية الرأي والتعبير- للنيل من أعظم شخصية إنسانية في الوجود وهي شخصية النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، الّذي تصوّره وسائل الإعلام الغربية بوسائل وأساليب ساخرة بأنّه رجل حرب وقتل ونهب وسلب، وأنّه كان غليظ القلب، وأنّ الإسلام دين العنف والرهبة والقتال.

هذه الشخصيّة الّتي نالت القدر الأوفى من كلّ الشمائل الحسنة والخلال النبيّلة، والقيم الإنسانيّة العليا، وحرّرت الإنسان ورفعت عنه إصر عبوديات وأغلال كثيرة كانت منتشرة في العالم، فلقد شكّلت شخصية النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم الرجل الّذي اكتملت فيه كلّ الأخلاق الحميدة، وانتفت عنه كلّ الأخلاق الذميمة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١]. فشكّلت حياة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم المثل الأعلى للإنسانية في جميع أحوال الحياة وأوجهها؛ في السلم والحرب، في الحياة الزوجية، مع الأهل والأصحاب، في الإدارة والرئاسة والحكم والسياسة، في البلاغ والبيان، فالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هو المثل الكامل. قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٢]، ﴿.. لَّكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ..﴾[٣].

فكان صلى الله عليه وآله وسلم يفيض رحمة في خلقه وسلوكه وأدبه وشمائله، فلا يحمل عبء بلاغ هذه الرحمة إلى العالمين إلّا رسول رحيم ذو رحمة عامّة شاملة فيّاضة طبع عليها ذوقه ووجدانه، وصيغ بها قلبه وفطرته. قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) سورة يسن، الآيتان: ٣ـ ٤.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[١].

فهـو مثـل أعلى للرحمة الإلهيّة لذلك وصفه الله تعالـى بأنّه رؤوف رحيم يستطيع المؤمنـون الاستفادة من الرحمة الّتي كان يُمثّلهـا النبيّ ﷺ، ذلك لأنّه «**بالمؤمنين روؤف رحيم**» ويستطيع الكافرون والمنافقون أيضاً -إلى جانب المؤمنين- الاستفادة مـن هذه الرحمة كذلك، فعندما قيل له: ادع على المشركين قال ﷺ: «**إنّي لم أُبعث لعّانًا، وإنّما بُعثت رحمة**»[٢].

٢- النبيّ محمّد ﷺ الإنسان العطوف والمحبّ

وإذا التفتنـا إلى حياته الخاصّة ﷺ في بيته ومع أولاده وأهل خاصّته لوجدنا بأنّ الرحمـة والشفقة من أبرز أخلاقه وخصاله ﷺ وقد وصفـه الله في القرآن الكريم بذلك، فقـال تعالى عن النبـيّ ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٤].

وكان ﷺ يُحبّ الأطفال، ويُقبّل أولاده، ويعطف عليهم، ويأمر بالمساواة في المحبّة بينهـم، كما كان يحـبّ أهله وزوجاته، وهو القائـل: «**حبّب إليّ مـن دنياكم: الطيب والنسـاء، وجُعلت قـرة عيني في الصلاة**». وقـال ﷺ: «**خيركم خيركـم لأهله وأنا خيركـم لأهلـي**»[٥]. وكان ﷺ رحيماً بالجميع، بـل إنّه يسمع بكاء الصبيّ فيسرع في الصلاة مخافة أن تُفتتن أمّه. و كان ﷺ يمرّ بالصبيان فيسلّم عليهم. وجاء الحسن والحسيـن مرّة، وهما ابنـا ابنته وهو يخطـب الناس فجعلا يمشيـان ويعثران فنزل النبـيّ ﷺ من المنبر، فحملهما حتّى وضعهما بين يديه، ثمّ قال صدق الله ورسوله:

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) ميزان الحكمة، محمّد الري شهري، ج ٤، ص ٢٧٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٥) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ٣، ص ٥٥٥.

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[١] نظرت إلى هذين الصبيّين يمشيان فيعثران فلم أصبر حتّى قطعت حديثي ورفعتهما. وفي رواية «**ما ضرب رسول الله شيئًا قطّ بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلّا أن يجاهد في سبيل الله**»[٢].

وكان النبيّ ﷺ يُقَبِّلُ ابنه إبراهيم عند وفاته وعيناه تذرفان بالدموع؛ فيتعجّب بعض الحاضرين ويقول: وأنت يا رسول الله! فيقول النبيّ ﷺ: «**يابن عوف، إنّها رحمة، إنّ العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلّا ما يُرضي ربّنا، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[٣].

ومن تواضعه وشكره: قال الإمام عليّ عليه السلام «**كان النبيّ ﷺ إذا سُئل شيئاً فأراد أن يفعله قال: نعم، وإذا أراد أن لا يفعل سكت، وكان لا يقول لشيء لا**»، وأمّا علاقته بأصحابه، فقد قال تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٤]، وعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «**كان رسول الله ﷺ يُقسّم لحظاته بين أصحابه، فينظر إلى ذا وينظر إلى ذا بالسويّة؛ وقال: ولم يبسط رسول الله رجليه بين أصحابه قطّ، وإن كان ليصافحه الرّجل فما يترك رسول الله ﷺ يده من يده حتّى يكون هو التارك...**»[٥].

٣- رحيم في الحرب والسلم

وكان ﷺ في الحرب يقاتل بشجاعة، ولكنّه أيضاً كان صاحب شفقة عظيمة، كان سياسيّاً، ولكنّه في الوقت نفسه صاحب مروءة كبيرة وقلب كبير. ففي غزوة

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٨.

(٢) ميزان الحكمة، محمّد الري شهري، ج ٤، ص ٣٢٣١.

(٣) المحلى، ابن حزم، ج ٥، ص ١٤٦.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٥) الكافي، ج٢، ص٦٧١.

أحـد استشهد عمّه حمـزة أسد الله ورسولـه رضي الله عنه، ومُـزّق جسده تمزيقاً، وشُـجّ رأس النبيّ ﷺ وكُسِرت رباعيّته، وغطّى الدم جسده الشريف، وكان يدعو في مقابـل أذى أهـل مكّة له: «**اللهمّ اغفر لقومي إنّهم لا يعلمـون**»[١]. فهل يوجد أرحم من النبيّ محمّد ﷺ في مثل هذه اللحظات.

وفـي فتح مكّة كيف تعامل مع مـن أخرجوه وظاهروا على إخراجه وإيذائه؟ وكيف تعامل مع من حاصروه في شعب أبي طالب وتسبّبوا في وفاة أحبّ زوجاته إليه خديجة الكبرى رضي الله عنها، وفي وفاة عمّه أبي طالب؟ فلقد دخل مكّة بعشرة آلاف مقاتل، دخـل على مركبــه، والدرع على صدره، والسيف في يده، ولكنّه مع كلّ مظاهر النصر هـذه كان أنموذجـاً للرحمة، فسـأل أهل مكّة: «**ما تـرون أنّي فاعل بكم؟**» فأجابوه: «**خيـراً أخٌ كريـمٌ وابـن أخ كريم**» فقال لهم ما قالـه يوسف عليه السلام لإخوته: «**لا تثريبَ عليكم اليـوم يَغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين**»[٢]. لقـد قال لهم: «**اذهبوا فأنتم الطُلَقاء**»[٣].

٤- رسالة النبيّ محمّد ﷺ دين المحبّة والرحمة

الدِّيـن الإسلامي هـو دين الرحمـة والمحبّة والسـلام والدعوة إلـى الخير، وما عالميّتـه وتشريعـه للقتال والجهـاد إلّا أحد مظاهر هذه الرحمـة، إذ لا يمكن إيجاد الرحمة كخُلق للأفراد والمجتمعات إلّا بدفع الظالم ورفع ظلمه عن المظلومين.

يقـول الله تعالـى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[٤]. ويقول الله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٥]، ونحـن دائمًـا نُـردّد فـي أوّل أعمالنـا:

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٩٥، ص ١٦٧.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٩٢، الكافي، ج ٤، ص ٢٢٥.

(٣) الكافي، ج ٣، ص ٥١٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٦٤.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[(١)]. ويقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**لمّا خلق الله الخلق كتب عنده فوق عرشه: إنّ رحمتي سبقت غضبي**»[(٢)].

فرحمة الله سبحانه واسعة، ولا يعلم مداها إلّا هو، فهو القائل سبحانه: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[(٣)].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**جعل الله الرحمة مائة جزءٍ، فأمسك تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق؛ حتّى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه**»[(٤)].

رحمة البشر: الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**ارحم من في الأرض، يرحَمْك من في السماء**»[(٥)] و«**مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم؛ مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[(٦)] فالمسلم رحيم في كلّ أموره؛ يعاون أخاه فيما عجز عنه؛ فيأخذ بيد الأعمى في الطرقات ليجنِّبه الخطر، ويرحم الخادم؛ بأن يحسن إليه، ويعامله معاملة كريمة، ويرحم والديه، بطاعتهما وبرّهما والإحسان إليهما والتخفيف عنهما.

الغلظة والقسوة: حذَّر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من الغلظة والقسوة، وعدَّ الّذي لا يرحم الآخرين شقيّاً، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا تُنْزَعُ الرحمةُ إلّا من شَقِيّ**»[(٧)] وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يرحم اللهُ من لا يرحم الناس**»[(٨)].

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ١.
(٢) الكافي، ج ٢، ص ٣٧٥.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.
(٤) كنز العمال، المتقي الهندي، ج ٤، ص ٢٥٠.
(٥) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ٤، ص ٣٧٩.
(٦) كنز العمال، المتقي الهندي، ج ١، ص ١٤٩.
(٧) م.ن، ج ٣، ص ١٦٣
(٨) م.ن.

ولا مجــال في هذه العجالة لعرضـ كلّ نماذج الرحمة في الدِّين الإسلامي وسيرة النبيّ محمّد ﷺ حيث شملت كلّ خلق الله تعالى من الإنسان والحيوان.

عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «**قال رسول الله** ﷺ **مقامي بين أظهركم خيرٌ لكم، فإنّ الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾**[١] **ومفارقتي إيّاكم خيرٌ لكم. فقالوا يا رسول الله، مقامك بين أظهرنا خيرٌ لنا، فكيف تكون مفارقتك خيراً لنا؟ قال: أما أنّ مفارقتي إيّاكم خيرٌ لكم، فإنّ أعمالكم تُعرض عليّ كلّ خميس وإثنين، فما كان من حسنة حمدتُ الله عليها، وما كان من سيّئةٍ استغفرت الله لكم**»[٢].

يقول الشاعر:

ارحـم بُنَـي جميـع الخلـق كُلَّهُـمُ ... وانْظُرْ إليهـم بعيـن اللُّطْفِ والشَّفَقَةْ

وَقِّــرْ كبيرَهــم وارحـم صغيرهــم ... ثـم ارْعَ في كلّ خَلْـق حقَّ مَـنْ خَلَقَـهْ

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٢) تفسير القمي، ج١، ص٢٧٦.



خصائص النبيّ في القرآن الكريم (١)

بعض الصفات الّتي سنذكرهـا مشتركة بين النبيّ ﷺ وبين غيره لكنّها موجودة فيه في أعلى درجاتها.

أ ـ أنّ ذكره ﷺ متقدّم على غيره.

ب ـ أنّه أولى بالاتّصاف بها من غيره.

ج ـ أنّـه أكثـر اتّصافاً بها مـن غيره. فمثلاً قولـه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١] فـإنّ العـزّة العليا للّه عزّ و جلّ لا يشاركه فيها أحد. ثمّ هي لرسوله لا يشاركه في مرتبته أحد. ثمّ هي بعد ذلك للمؤمنين جميعاً.

قال اللّه سبحانه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[٢].

فهو ﷺ:

١ – الشاهد على الخلق في أنّهم هل يطيعون التعاليم الّتي جاء بها أو يعصوها.

٢ – و هو المبشّر بالجنّة لمن أطاع اللّه سبحانه.

٣ – و هو النذير بالعقاب لمن عصى اللّه سبحانه.

٤ – و هو الداعي إلى اللّه بإذن اللّه سبحانه، أي الداعي إلى طاعته و رحمته.

٥ – و هو السراج المنير بالعلم و الحقّ و الهدى.

٦ – و هـو المرسـل رحمـة للعالمين. قـال سبحانـه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[٣].

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥ ـ ٤٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

٧ – و هـو المرسل إلى كافّـة الناس قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾[(١)]. و هو بمعنى الجميع: يعني أرسلناك إلى الناس جميعاً.

٨ – و هو رسول الله قال سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ ﴾[(٢)]. و قال جلّ جلاله: ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ﴾[(٣)]. يعنـي فيهـا كتابات ذات قيمة عظيمة و يراد بها القرآن الكريم.

٩ – و هـو الذكـر. قـال الله سبحانـه: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ١٠ رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[(٤)].

١٠ – و هذه الآية الكريمة و عدد آخر تدلّ أيضاً على أنّه ﷺ:

التالي. لأنّه يتلو علينا آيات الله مبينات.

١١ – و هـو أيضـاً يخـرج الّذين آمنـوا و عملـوا الصالحات، من ظلمـات الغواية والجهل إلى نور الحقّ و العدل. كما سمعنا من الآية نفسها.

١٢ – و طاعته مقرونة بطاعة الله سبحانه و كلاهما واجبة. قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾[(٥)].

١٣ – بل طاعته ﷺ هي طاعة الله سبحانه، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾[(٦)].

١٤ – و الاستجابـة إليـه مقرونـة بالاستجابة لله سبحانه. قـال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٨.
(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٣) سورة البينة، الآيتان: ٢-٣.
(٤) سورة الطلاق، الآيتان: ١٠-١١.
(٥) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٦) سورة النساء، الآية: ٨٠.

ﵟٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِﵞ[١]. و قال جلّ جلاله: ﵟٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡﵞ[٢].

١٥ – و الإيمان به ﷺ مقرون بالإيمان بالله جلّ جلاله قال سبحانه: ﵟوَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَاﵞ[٣].

١٦ – و ولايته مقرونة بولاية الله تعالى. قال جلّ جلاله: ﵟإِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْﵞ[٤]. و قال سبحانه: ﵟوَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَﵞ[٥].

١٧ – و فضله مقرون بفضل الله قال تعالى: ﵟوَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓﵞ[٦]. و قال سبحانه: ﵟوَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦﵞ[٧].

١٨ – وصدقه مقرون بصدق الله سبحانه. قال سبحانه: ﵟوَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥﵞ[٨].

١٩ – ونصره مقرون بنصر الله سبحانه، قال جلّ جلاله: ﵟوَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓﵞ[٩].

٢٠ – و عزّته مقرونة بعزّة الله سبحانه، قال تعالى: ﵟوَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَﵞ[١٠].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٢.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.
(٣) سورة النور، الآية: ٤٧.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٥.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٥٦.
(٦) سورة التوبة، الآية: ٥٩.
(٧) سورة التوبة، الآية: ٧٤.
(٨) سورة الأحزاب، الآية: ٢٢.
(٩) سورة الحشر، الآية: ٨.
(١٠) سورة المنافقون، الآية: ٨.

٢١ – و الكفـر به مقرون بالكفر بالله سبحانه. قال جلّ جلاله: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[١].

٢٢ – و عصيانـه مقرون بعصيان الله سبحانه قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[٢].

٢٣ – و شقاقه، أي المعاندة ضدّه، مقرونة إلى الشقاق ضدّ اللّه سبحانه، قال اللّه عزّ و جلّ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[٣].

٢٤ – و محادته، أي الكيد له و العمل ضد أهدافه، مقرونة بمحادة اللّه تعالى.

قـال جـلّ جلالـه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾[٤]. و قـال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[٥].

٢٥ – و حربـه مقرون بحرب الله سبحانه، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[٦]. أي توقّعوا ذلك.

٢٦ – و محاربتـه مقرونة بمحاربة الله سبحانـه. قال جلّ جلاله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾[٧].

٢٧ – و براءته مقرونة ببراءة اللّه سبحانه، قال تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٨].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٤.
(٢) سورة الجن، الآية: ٢٣.
(٣) سورة الحشر، الآية: ٤.
(٤) سورة المجادلة، الآية: ٢٠.
(٥) سورة المجادلة، الآية: ٥.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٧٩.
(٧) سورة المائدة، الآية: ٣٣.
(٨) سورة التوبة، الآية: ١.

٢٨ – و رضاؤه مقرون برضاء الله جلّ جلاله، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

٢٩ – و إيذاؤه مقرون بإيذاء الله سبحانه، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[2].

٣٠ – و عهده مقرون بعهد الله تعالى، قال جلّ جلاله: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾[3].

(ستأتي تكملة لبعض الخصائص في الدرس التاسع «**دفاعٌ عن النبيّ** ﷺ» ص١١٦)

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧.



محمّد ﷺ حبيب المؤمنين

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[١]

---

(١) سورة آل عمران، الآية:٣١.

تمهيد

ورد فـي سبب النزول أنّـه ادعى جمع من الحاضرين فـي مجلس رسول الله ﷺ أنّهم يحبّون الله، مع أنّ العمل بتعاليم الله كان أقلّ ظهوراً في أعمالهم. فنزلت هاتان الآيتان بشأنهم[١].

تقـول الآية أنّ الحبّ لا يكون بالارتباط والميـل القلبيّ فحسب، بل يجب أن تظهر آثاره في عمل الإنسان. فإنّ دعوى الحبّ لله إذا كانت صادقة ينبغي أن تظهر وتتجلّى فـي أعمال الشخص الّذي يدّعيه، هل يتبع النبيّ ﷺ حقّـاً أم لا: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي﴾[٢].

فـإنّ من آثار الحبّ واقعاً ميل وانجذاب المحبّ نحو المحبوب، في أقواله وأفعاله وأعماله، بحيث يستجيب المحبّ للمحبوب في كلّ أوامره ونواهيه، وإلّا لو كان المحبّ للمحبوب عاصياً ومتمرّداً، فهذه علامة على أنّ حبّه غير حقيقيّ بل ادعائيّ لا يتجاوز لسانه.

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٢، ص٤٦٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية:٣١.

وهـذا ليس خاصّاً بمن نزلت فيهم الآيتان، بـل يعمّ جميع العصور والشعوب، فإنّ الذّيـن يدّعون محبّة النبـيّ ﷺ والأئمّة عليهم السلام والمجاهديـن والشهداء والصالحين والمتّقين، ولكنّ أعمالهم أبعد ما تكون عن مشابهة أولئك، هم كاذبون.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**ما أحبّ الله عزّ وجلّ من عصاه**».

ثمّ قرأ الأبيات:

تعصـي الإلـه وأنـت تظهـر حبّـه	هـذا لعمـرك فـي الفعـال بديـع
لـو كان حبّـك صادقـاً لأطعتـه	إنّ المحـبّ لمـن يحـبّ مطيـع[1]

إذا كنّـا حقّاً نحـبّ الله بحيث ظهرت آثار ذلك الحبّ فـي أعمالنا وأخلاقنا، من خلال اتباع مـن فرض الله طاعتـه: ﴿**إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي**﴾[2]، فإنّ الله تعالى سيحبّنـا أيضـاً بالمقابـل: ﴿**يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ**﴾[3]، وسوف تظهر آثار حبّـه لنا من خلال غفران الذنوب، وشمولنا برحمته الّتي وسعت كلّ شيء: ﴿**وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[4]، وهذا معنى شفاعة نبيّنا ﷺ.

فما هو معنى الحبّ؟

معنى الحبّ

فالحـبّ: هو الوداد والمحبّة[5] والميل الشديد، ويُقابله البغض والتنفّر. والتحبّب هو إظهار الودّ والحبّ.

فالحبّ: هو الميل القلبيّ والباطنيّ نحو المحبوب، فلا يكون الشيء محبوباً إلاّ إذا

(١) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، ج ١، ص٦١١.

(٢) سورة آل عمران، الآية:٣١.

(٣) سورة آل عمران، الآية:٣١.

(٤) سورة آل عمران، الآية:٣١.

(٥) لسان العرب لابن منظور، ج ١، ص ٢٨٩.

مالـت النفس إليه. وهذا الميل ذو درجات ومراتب، فإذا قوي هذا الميل واشتدّ سُمّي عشقاً[١].

أي أنّ الحـبّ هـو تعلّـق خاصّ وانجـذاب مخصوص شعـوريّ بيـن الإنسان وبين كماله[٢].

فمحبّـة العبـد لله تعالى لِما أنّ الذّات الإلهيّة هي الكمـال المطلق غير المتناهي، والإنسان مفطور على حبّ الكمال والميل نحو كماله المطلق، ولا يرضى بكمال محدود حتّى يطلب كمالاً آخر أشدّ وجوداً وأكثر كمالاً.

وأمـا محبّـة الله عبده فلِما أنّ الـذات تحبّ آثارها، وصاحـب الكمالات والأسماء الحسنـى يحـبّ مظاهر كماله وتجلّيات أسمائه، وكلّمـا كان الأثر أكثر دلالةً على ذي الأثـر، والمظاهـر على الكامل المطلـق، اشتدّ الحبّ، والأثر لا يكـون أكثر دلالةً على الذات إلّا بالطاعة والفناء بها، وكذا المظاهر والتجلّيات لا يشتدّ تجلّيها وظهورها إلّا بالقـرب من المتجلّي والظاهر. فأحبّ الموجودات إلى الله تعالى هو أقربهم إليه من حيث الكمال والمظهريّة والتجلّي، وهو النبيّ الأكرم ﷺ.

درجات الحبّ

لمّـا كان الحـبّ عبارة عـن تعلّق وجوديّ بيـن المحبّ والمحبـوب، فهو يسري في جميع الموجودات، وهو من المفاهيم المشكّكة أي له مراتب متفاوتة من حيث الشدّة والضعف والدرجة والمرتبة، لذا مراتب الحبّ عديدة ويمكن ذكر بعضها:

الدرجـة الأولى: وهي ادعاء الحبّ على مستوى اللسان. وهذا ليس حبّاً حقيقيّاً، وليس درجة أو مرتبة حقيقيّة.

---

(١) مجمع البحرين للشيخ فخر الدين الطريحي، ج١، ص٤٤٢.

(٢) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج١، ص٤١٠.

الدرجة الثانية: وهي الحبّ بمعنى التعلّق القلبي والميل النفسيّ، وهذا قد يكون منشؤه العصبيّة والشعور بالانتماء، وليس هذا هو الحبّ المطلوب.

الدرجة الثالثة: الحبّ القلبيّ الحقيقيّ، بحيث يسري الحبّ من القلب إلى سائر الجوارح، فتظهر آثار هذا الحبّ في عمل الإنسان وأخلاقه وسيرته، وهذا هو الحبّ المطلوب.

وقد يشتدّ هذا الحبّ من خلال المتابعة والالتزام بالتعاليم النبويّة، حتّى يصير المحبوب مقدّماً على الأولاد والعشيرة والممتلكات والتجارات وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمًا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ﴾[2].

حب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالعمل بأخلاقه

لما كان النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حبيب الله تعالى، فكلّ من يدّعي المحبّة لله لزمه حبّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم واتباعه -كما سبق، ومحبّته إنّما تكون بمتابعته وسلوك سبيله، قولاً وعملاً وخُلُقاً وسيرةً وعقيدةً، ولا تصدق دعوى المحبّة إلّا بهذا، فمن لم يكن له من أخلاقه وسيرته صلى الله عليه وآله وسلم نصيب، لم يكن له من المحبّة نصيب، وإذا تابعه حقّ المتابعة ناسب باطنه وسرّه وقلبه ونفسه باطن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وسرّه وقلبه ونفسه.

من تجلّيات الحبّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

إنّ لحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تجلّيات وعلامات عدّة، منها:

١- طاعة الله والعمل الصالح الموصل لمحبّة الله

يقول الله تعالى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

أي مـا دمتـم تدّعون الحـبّ لله، إذاً اتبعـوا أمر الله ورسولـه ﷺ، وإن لم تفعلوا فلستم تحبّون الله، والله لا يحبّ هؤلاء ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١].

ويستفاد من الآية أنّ إطاعة الله وإطاعة رسوله لا تنفصلان، وأن إطاعة الرسول ﷺ هي إطاعة الله، وإطاعة الله هي إطاعة رسول الله ﷺ.

ولطاعة الله والرسول ﷺ آثار عديدة، منها:

أ- دخول الجنّة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٢].

ب- مرافقة النبيّين عليهم السلام والصدّيقين والشهداء، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾.

ج- الفـوز، قـال تعالـى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[٣].

٢- العمل بتعاليم وآداب الإسلام

فـإنّ من علامـة المحبّ العمل بما يحبّه محبوبه ويقرّبـه منه، روى جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي: «**يا جابر أيكتفي من ينتحل التشيّع أن يقول بحبّنا أهل البيـت، فـوالله مـا شيعتنا إلّا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفـون يا جابر إلّا بالتواضـع والتخشّع والأمانة، وكثرة ذكـر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين، والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث وتـلاوة القـرآن، وكـفّ الألسن عن النـاس إلّا من خير، وكانوا أمنـاء عشائرهم في الأشياء**».

قـال جابـر: فقلت: يا ابـن رسول الله ما نعـرف اليوم أحداً بهـذه الصفة، فقال:

---

(١) سورة آل عمران، الآية:٣٢.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٦٩ـ ٧٠.

(٣) سورة النور، الآية: ٥٢.

«يا جابر لا تذهبنّ بك المذاهب حسب الرجل أن يقول: أحبّ عليّاً وأتولاه ثمّ لا يكون مع ذلك فعّالاً؟ فلو قال: إنّي أحبّ رسول الله، فرسول الله ﷺ خيرٌ من عليّ عليه السلام، ثمّ لا يتّبع سيرته ولا يعمل بسنّته، ما نفعه حبّه إيّاه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحبّ العباد إلى الله عزّ وجلّ [وأكرمهم عليه] أتقاهم وأعملهم بطاعته، يا جابر والله ما يتقرّب إلى الله تبارك وتعالى إلّا بالطاعة وما معنا براءة من النار ولا على الله لأحد من حجّة، من كان لله مطيعاً فهو لنا وليّ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدوّ، وما تنال ولايتنا إلّا بالعمل والورع»[1].

يقول الإمام الخميني قدس سره: **«إنّ ادعاء المحبّة من دون دليل وبيّنة لا يكون مقبولاً، إذ لا يمكن أن أكون صديقك وأضمر لك الحبّ والإخلاص، ثمّ أقوم بكلّ ما هو مناقض لرغباتك وأهدافك. إنّ شجرة المحبّة تنتج وتثمر في الإنسان المحبّ، والعمل حسب درجة المحبّة ومستواها. فإذا لم تحمل تلك الشجرة هذه الثمرة فلا بدّ من معرفة أنّها لم تكن محبّة حقيقيّة، وإنّما هي محبّة وهميّة.. فمحبّ أهل البيت عليهم السلام هو الّذي يشاركهم في أهدافهم، ويعمل على ضوء أخبارهم وآثارهم... وإنّ المؤمن إذا لم يعمل بمتطلّبات الإيمان وما تستدعيه محبّة الله وأوليائه، لما كان مؤمناً ومحبّاً، وإنّ هذا الإيمان الشكليّ والمحبّة الجوفاء من دون جوهر ومضمون»**[2].

٣- زيارة رسول الله ﷺ

لا يخفى على أحد ما للزيارة من ترسيخ علاقة أو ارتباط وتعلّق بمن نزوره، فكيف لو كان رسول الله ﷺ، فإنّه الوسيلة إلى الله والشعيرة الّتي أُمرنا بتعظيمها: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[3].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٧٥.

(٢) الأربعون حديثاً، الإمام الخمينيّ قدس سره، ص ٥١٢.

(٣) سورة الحجّ، الآية: ٣٢.

وقد ورد في فضل وثواب زيارة النبيّ ﷺ روايات عدّة، منها ما عن الإمام الرضا عليه السلام: يا أبا الصلت إنّ الله فضّل نبيّه محمّداً ﷺ على جميع خلقه من النبيّين والملائكة، وجعل طاعته طاعته، ومتابعته متابعته، وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته، فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1]، وعن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[2]، وقال رسول الله ﷺ: «**من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله**»[3].

وعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال رسول الله ﷺ: من أتاني زائراً كنت شفيعه يوم القيامة**»[4].

وعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «**بينا الحسين بن عليّ في حجر رسول الله ﷺ إذ رفع رأسه فقال: يا أبه ما لمن زارك بعد موتك؟ فقال: يا بنيّ من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنّة، ومن أتى أباك زائراً بعد موته فله الجنّة، ومن أتى أخاك زائراً بعد موته فله الجنّة. ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنّة**»[5].

عن الإمام محمّد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: «**قال رسول الله ﷺ: من زارني أو زار أحداً من ذريّتي زرته يوم القيامة فأنقذته من أهوالها**»[6].

٤- دفع الأذى عنه ﷺ

يقول ﷺ: «ما أوذي نبيّ مثل ما أوذيت»[7].

فقد نال ﷺ من أمّته- أعمّ من كفّارهم ومؤمنيهم ومنافقيهم- من المصائب

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٠.
(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.
(٣) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج١٤، ص٣٢٥.
(٤) م.ن، ج١٤، ص٣٣٣.
(٥) م.ن، ج١٤، ص٣٢٩.
(٦) م.ن، ج١٤، ص٣٣٢.
(٧) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٣٩، ص٥٦.

والمحن وأنواع الزجر والأذى ما ليس في وسع أحد أن يتحمّله إلّا نفسه الشريفة[١].

وهو - أرواحنا فداه - ما زال يتمّ توجيه الأذى والإساءة إليه حتّى بعد رحيله ﷺ، كما في زماننا هذا، سواء من قبل أعدائه أم من قبل بعض ممّن يدّعون اتباعه ومحبّته.

وكذلك ما نال عترته ﷺ وأهل بيته بعد ارتحاله من قتل وظلم وجور.

فمن كان يدّعي الاتباع والمحبّة للنبيّ ﷺ لا ينبغي أن يظلم ويكفّر غيره من المسلمين باسم النبيّ ﷺ الّذي قال اللّه عنه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[٢]، وعلى المسلمين منع إساءة المنكرين لنبوّته ﷺ، فكيف يقومون هم بالإساءة؟!

من آثار اتباع ومحبّة الرسول ﷺ

١- محبّة اللّه

النبيّ الأكرم ﷺ هو مظهر المحبّة الإلهيّة، فيلزم أن يكون للمتابع والمطيع للنبيّ ﷺ قسط من محبّة اللّه تعالى بقدر نصيبه من المتابعة والطاعة، فيلقي اللّه تعالى محبّته عليه بواسطة محبّة النبيّ ﷺ، فيصير محبوباً للّه، ومحبّاً له، ولو لم يتابع النبيّ ﷺ بل خالفه، ابتعد عن وصف المحبوبيّة وزالت المحبّة عن قلبه، إذ لو لم يحبّه اللّه تعالى لم يكن محبّاً له، فيقع في الكفر: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[٣].

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من سرّه أن يعلم أنّ الله يحبّه فليعمل بطاعة الله وليتّبعنا، ألم يسمع قول الله عزّ وجلّ لنبيّه ﷺ ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾[٤]؟، والله لا يطيع الله عبد أبداً إلّا أدخل الله عليه**

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج٦، ص٥٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية:٣٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية:٣١.

في طاعته اتباعنا، ولا والله لا يتبعنا عبد أبداً إلّا أحبّه الله، ولا والله لا يدع أحد اتباعنا أبداً إلّا أبغضنا، ولا والله لا يبغضنا أحد أبداً إلّا عصى الله، ومن مات عاصياً لله أخزاه الله وأكبّه على وجهه في النار»[١].

وعنه عليه السلام: «**فمن أحبّ الله أحبّه الله عزّ وجلّ، ومن أحبّه الله عزّ وجلّ كان من الآمنين»**[٢].

٢- غفران الذنوب

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٣].

إذا أحبّ الله عبداً غفر له ذنوبه وشملته رحمته، لأنّ محبّة الله عبده رضاه عنه، وهو سبب لغفران ذنوبه وكمال فوزه بالسعادة العظمى وكمال نور إيمانه ووجوب الجنّة له، فإذاً من آثار محبّة النبيّ ﷺ غفران الذنوب.

عن الإمام أبي جعفر عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام - في خطبة له - قال: «**وقال في محكم كتابه:** ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[٤] **فقرن طاعته بطاعته، ومعصيته بمعصيته، فكان ذلك دليلاً على ما فوّض إليه، وشاهداً له على من اتبعه وعصاه. وبيّن ذلك في غير موضع من الكتاب العظيم، فقال تبارك وتعالى في التحريض على اتباعه، والترغيب في تصديقه والقبول لدعوته:** ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[٥] **فاتباعه ﷺ محبّة الله، ورضاه غفران الذنوب وكمال الفوز ووجوب الجنّة، وفي التولي عنه والإعراض محادّة الله وغضبه وسخطه. والبعد منه سكن**

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٨، ص ١٤.
(٢) الخصال، الشيخ الصدوق، ص١٨٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.
(٤) سورة النساء، الآية: ٨٠.
(٥) سورة آل عمران، الآية:٣١.

النار، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾[١] يعني الجحود به والعصيان له»[٢].

٣- الشفاعة

قال رسول الله ﷺ: «**أُعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرعب، وأحلّ لي المغنم، وأعطيت جوامع الكلم، وأعطيت الشفاعة»**[٣].

وسُئل الإمام أبو عبد الله عليه السلام عن شفاعة النبيّ ﷺ يوم القيامة، قال: «**يلجم الناس يوم القيامة العرق فيقولون: انطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا عند ربّه، فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا عند ربّك، فيقول: إنّ لي ذنباً وخطيئة فعليكم بنوح، فيأتون نوحاً فيردّهم إلى من يليه، ويردّهم كلّ نبيّ إلى من يليه حتّى ينتهون إلى عيسى فيقول: عليكم بمحمّد رسول الله فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه فيقول: انطلقوا، فينطلق بهم إلى باب الجنّة، ويستقبل باب الرحمن ويخرّ ساجداً فيمكث ما شاء الله فيقول الله عزّ وجلّ: ارفع رأسك واشفع تُشفع وسل تُعط، وذلك قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[٤]»**[٥].

وعن الإمام عليّ بن موسى الرضا، عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربعة أنالهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذرّيّتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي في أمورهم ما اضطرّوا إليه، والمحبّ لهم بقلبه ولسانه عندما اضطرّوا»**[٦].

---

(١) سورة هود، الآية: ١٧.

(٢) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، ج ٣، ص٩٦.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٨، ص ٣٨.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٨، ص ٣٥.

(٦) م.ن، ج٨، ص ٤٩.



حبيبي رسول اللّه ﷺ

كان أبو ذرّ رحمه اللّه تخلّف عن رسول اللّه ﷺ ثلاثة أيّام، وذلك أنّ جمله كان أعجف، فلحق بعد ثلاثة أيّام ووقف عليه جمله في بعض الطريق، فتركه وحمل ثيابه على ظهره، فلمّا ارتفع النهار نظر المسلمون إلى شخص مقبل، فقال رسول اللّه: كن أبا ذر، فقالوا: هو أبو ذر، فقال رسول اللّه ﷺ: أدركوه بالماء فإنّه عطشان، فأدركوه بالماء ووافى أبو ذرّ رسول اللّه ﷺ ومعه إداوة[1] فيها ماء فقال رسول اللّه ﷺ: يا أبا ذرّ معك ماء وعطشت؟ فقال: نعم يا رسول اللّه بأبي أنت وأمّي انتهيت إلى صخرة عليها ماء السماء فذقته فإذا هو عذب بارد، فقلت: لا أشربه حتّى يشربه حبيبي رسول اللّه ﷺ، فقال رسول اللّه ﷺ: يا أبا ذر رحمك اللّه تعيش وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك، وتدخل الجنّة وحدك، يسعد بك قوم من أهل العراق، يتولّون غسلك وتجهيزك والصلاة عليك ودفنك[2].

(١) الإدواة: هي آلة لوضع الماء كالجراب.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٢١، ص٢١٥.



محمّد ﷺ مكارم الأخلاق

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[١].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

تمهيد

إنَّ أهمّ قدوة للإنسانية الأنبياء الكرام عليهم السلام، قال سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[1].

ويقول سبحانه في خصوص نبيّنا الأعظم محمّد ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

وقد تعرّضت القدوة الحسنة من أعداء الإنسانيّة على مرّ التاريخ إلى الإساءة وحملات التشويه، ولم يستطيعوا ولن يستطيعوا حجب الشمس مهما حاولوا جاهدين.

فنور الأنبياء عليهم السلام ونور خاتمهم النبيّ محمّد ﷺ لم ولن ينطفىء. ونحن ذاكرون شيئاً من قبس نوره الّذي أضاء ظلمات عصره ولا يزال يُضيء عصرنا وإن تجاهله المتجاهلون والمتعصّبون وقصّر المقصّرون.

بعض مكارم أخلاق الرسول ﷺ

سلوكه الشخصي

أ-زهده ﷺ:

إذا أردنا أن نكوّن فكرة واضحة عن زهد رسول الله ﷺ علينا أن نعرف طعامه، ولباسه ومسكنه ومدّخراته.

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

أمّـا طعامـه: فقد كان خبز رسول الله ﷺ خبز الشعير في أكثر أحيانه، وما أكل خبز طحين منخول حتّى قبض بل ما شبع من خبز الشعير قطّ.

فعـن العيص بـن قاسم قال: قلت للصادق جعفر بـن محمّد عليه السلام: حديث يروى عـن أبيـك عليه السلام أنّه قال: «**ما شبع رسـول الله ﷺ من خبز برّ قـط**»، أهو صحيح؟ فقال: «**لا، ما أكل رسول الله ﷺ من خبز برّ قط، ولا شبع من خبز شعير قط**»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**ذُكر اللحم عند رسول الله ﷺ فقال: ما ذقته منذ كذا**»[٢].

ولشـدّة زهد النبيّ ﷺ بالدنيا تروي إحدى زوجاته فتقول: «**ما زالت الدنيا علينا عسرة كدرة حتّى قُبض رسول الله ﷺ فلما قُبض صُبّت الدنيا علينا صبّاً**»[٣].

وقالـت: «**والـذي بعث محمّـداً ﷺ بالحقّ مـا كان لنا منخـل ولا أكل النبيّ ﷺ خبزاً منخولاً منذ بعثه الله إلى أن قُبض**»[٤].

وأمّـا لباسـه: فيكفينا أن نعلم أنّه ﷺ كمـا تقول إحدى زوجاته: «**مـا اتّخذ من شـيء زوجيـن، لا قميصيـن ولا رداءيـن ولا إزارين، ولا من النعـال، وكثيراً ما كان يلبس المرقّع من الثياب**»[٥].

وأما مسكنه

يـروي أمير المؤمنيـن عليه السلام فيقول: «**كان فراش رسول الله ﷺ عبـاءة وكانت مرفقتـه أدم حشوهـا ليـف.. وكان كثيراً ما يتوسّد وسادة له مـن أدم حشوها ليف، ويجلس عليهـا، وكانـت لـه قطيفة فدكيّـة يلبسها يتخشّـع بها، وكانـت له قطيفة مصرية قصيرة الخمل، وكان له بساط من شعر يجلس عليه**»[٦].

---

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق ص٣٩٨.
(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج١٨، ص٣٠.
(٣) م.ن، ج١٦، ص ٢٤٤.
(٤) سنن النبيّ، السيد الطباطبائي، ص٢٢٦.
(٥) امتاع الاسماع، المقريزي، ج٢،ص ٢٨٩.
(٦) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج١٦، ص ٢٥٢.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**إنّ رجلاً من الأنصار أهدى إلى رسول الله ﷺ صاعاً من رطب، فقال رسول الله ﷺ للخادمة الّتي جاءت به: أُدخلي فانظري هل تجدين في البيت قصعة أو طبقاً فتأتيني به؟ فدخلت ثمّ خرجت إليه فقالت: ما أصبت قصعة ولا طبقاً، فكنس رسول الله ﷺ بثوبه مكاناً من الأرض ثمّ قال لها: ضعيه ها هنا على الحضيض! ثمّ قال: والّذي نفسي بيده لو كانت الدنيا تعدل عند الله مثقال جناح بعوضة ما أعطى كافراً ولا منافقاً منها شيئاً**»(١).

وأمّا مدّخراته: فإنّ رسول الله ﷺ لم يكن يدّخر شيئاً من المال ولا من الأشياء.

قال أنس بن مالك: «**كان رسول الله لا يدخر شيئاً لغد**»(٢).

ويكفي أن نعلم أنّه ﷺ لمّا توفّي ما ترك إلّا سلاحه وبغلته ودرعاً مرهونة.

فعن ابن عباس قال: «**إنّ رسول الله ﷺ توفّي ودرعه مرهونة عند رجل من اليهود على ثلاثين صاعاً من شعير أخذها رزقاً لعياله**»(٣).

ب- منطقه ﷺ

لقد اتّفق جميع الّذين وصفوا منطق رسول الله ﷺ على أنّه ﷺ كان أحسن الناس منطقاً.

وإذا أردنا أن نبحث عن مكوّنات حلاوة منطقه ﷺ وحسنه لحصلنا من ذلك على العناصر التالية:

ترك الفاحش من القول: فلم يكن رسول الله ﷺ سبّاباً ولا فحّاشاً. فقد روي أنّه قيل له: يا رسول الله أدع على المشركين! فقال ﷺ: إنّي لم أُبعث لعّاناً وإنّما بُعثت رحمة(٤).

وعن أنس بن مالك قال: «**خدمت النبيّ تسع سنين فما قال لشيء صنعت أسأتَ، ولا بئس ما صنعْتَ**»(٥).

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج١٦، ص ٢٨٤.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض الاندلسي، ج ١، ص ٩٤.

(٣) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج١٦، ص ٢٣٩.

(٤) الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ج٤، ص ٣٤٢.

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير، ج٦، ص ٢٦.

تبسّمه أثناء التكلّم: قال أبو الدرداء: كان رسول اللهﷺ إذا حدّث بحديث تبسّم في حديثه[١].

تكليمه للناس على قدر عقولهم: وإلى هذا أشار الرسولﷺ بقوله: «**إنَّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نُكلّم الناس على قدر عقولهم**»[٢].

سلوكه الاجتماعي

أ- تواضعهﷺ

كان رسول اللهﷺ النموذج المثالي الرائع في التواضع وبساطة العيش.

عن الإمام الصادقعليه السلام قال: «**كان رسول اللهﷺ إذا دخل منزلاً قعد في أدنى المجلس حين يقعد**»[٣].

وعنهعليه السلام أيضاً قال: «**ما أكل رسول اللهﷺ متّكئاً منذ أن بعثه الله عزّ وجلّ حتّى قُبض، وكان يأكل أكلة العبد ويجلس جلسة العبد**»، قلت: ولم ذاك؟ قال: «**تواضعاً لله عزّ وجلّ**»[٤].

وعن ابن عباس قال: كان رسول اللهﷺ يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعتقل الشّاة ويُجيب دعوة المملوك على خبز الشعير[٥].

ومن تواضعه أنّه كان يبدأ بالسلام على الناس، وينصرف إلى محدّثه بكلّه: الصغير والكبير والمرأة والرجل.وكان آخر من يسحب يده إذا صافح، وإذا أقبل جلس حيث ينتهي به المجلس، لم يكن يأنف من عمل يعمله لقضاء حاجته أو حاجة صاحب أو جار أو مسكين، وكان يذهب إلى السوق، ويحمل بضاعته بنفسه، ولم يستكبر عن المساهمة في أيّ عمل يقوم به أصحابه وجنده، فقد ساهم في بناء المسجد في

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج١٦، ص٢٩٨.
(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج١، ص٢٣.
(٣) م.ن، ج٢، ص٦٦٢.
(٤) م.ن، ج٦، ص٢٧٠.
(٥) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج١٢، ص١٠٩.

المدينة وعمل في حفر الخندق في غزوة الأحزاب، وشارك أصحابه في جمع الحطب في أحد سفراته، وعندما قال له أصحابه نحن نقوم بذلك عنك قال ﷺ: «**قد علمت أنّكم تكفوني ولكن أكره أن أتميّز عنكم، فإنّ الله يكره من عبده أن يراه متميّزاً عن أصحابه**»[١].

ب- مدرسة الحلم والعفو

من أبرز ما اتّصفت به الأخلاق النبويّة هو الحلم عن أخطاء الآخرين والعفو عن سيّئاتهم.

قال أنس بن مالك: خدمت رسول الله ﷺ سنين، فما سبَّني سبَّة قطّ، ولا ضربني ضربة، ولا انتهرني، ولا عبس في وجهي، ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه فعاتبني عليه، فإن عاتبني عليه أحد من أهله قال: دعوه، فلو قُدّر شيء كان[٢].

وروي أنّ النبيّ ﷺ ما ضرب امرأة قطّ، ولا ضرب خادماً قطّ، ولا ضرب بيده شيئاً قطّ، إلّا أن يجاهد في سبيل الله عزّ وجلّ، ولا نِيل منه فانتقم من صاحبه إلّا أن تُنتهك محارمه فينتقم[٣].

وعن أنس أيضاً قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فأخذ بردائه فجبذه [جذبه] جبذة شديدة حتّى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثّرت به حاشية الرّداء من شدّة جبذته. ثمّ قال: يا محمّد مر لي من مال الله الّذي عندك. فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك وأمر له بعطاء[٤].

ومن عظيم عفوه ما تجلّى يوم فتح مكة، فبالرغم من القسوة والوحشية اللّتين عومل بهما جسد عمّه حمزة بن عبد المطلب في معركة أُحُد، لم يلجأ إلى الانتقام

(١) امتاع الاسماع، المقريزي، ج٢، ص١٨٨.
(٢) م.ن، ج٢، ص٢٣٦.
(٣) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج١، ص٢٢٢.
(٤) ميزان الحكمة، الشيخ الريشهري، ج٤، ص٣٢٢٥.

من وحشي قاتل حمزة، ولا من هند زوجة أبي سفيان الّتي مثّلت في جسده، مع أنّهما كانا في قبضته وكان يستطيع معاقبتهما والنيل منهما.

كما أنّه ﷺ عفى عن أهل مكّة يوم الفتح ووقف منهم موقفاً رحيماً بالرغم من كلّ العذاب والمعاناة والآلام وأنواع الأذى الّذي صبّته قريش عليه وعلى المسلمين قبل الهجرة وبعدها، وبالرغم من مؤامراتها وحروبها وإرهابها فإنّه ﷺ وقف على باب الكعبة بعد الفتح مخاطباً أهل مكة: «**ما ترون أنّي فاعل بكم**»؟قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم. قال: «**فإنّي أقول لكم كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين، اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

وعندما قال أحد أصحابه: اليوم يوم الملحمة اليوم تُسبى الحرمة، قال ﷺ: «**اليوم يوم المرحمة اليوم تراعى الحرمة**»[1].

بهذه النفس الرحيمة، وبهذا الخلق الرفيع والسلوك الحضاري الّذي لم يعرف التاريخ له نظيراً يعامل رسول الله ﷺ أشدّ الناس عداوة له، بعد أن تمكّن منهم ومن رقابهم، إنّه الخلق النبويّ المحمّدي الأصيل.

سلوكه العائلي

أ- علاقة الرسول ﷺ بنسائه:

كما كان رسول الله ﷺ مثلاً أعلى في شتّى ألوان تعامله وأنماط سلوكه، كان كذلك في علاقاته بأزواجه.

وهذه بعض أساليب تعامله مع أزواجه:

١- التزام العدل الكامل في معاملتهنّ في:

النفقة والمسكن والملبس والمبيت والزيارات والوقت، فبالرغم من أنّه ﷺ كانت في أزواجه الشابّة والجميلة والمسنّة والعاديّة في جمالها، لكن ذلك لا يصرفه بحال عن التزام أعلى درجات الكمال في العدل بينهنّ، فلا تفضيل لواحدة على أُخرى.

(١) انظر: الأنوار العلوية، الشيخ جعفر النقدي، ص ٢٠١.

لقد خصّص لكلّ واحدة منهنّ ليلة، وكان إذا زار إحداهن زار الجميع بعد ذلك، وإن عزم على سفر من أجل جهاد أو حجّ أقرع بين نسائه، فيصحب من تفوز بقرعته، حتّى لا يؤذي قلوبهن إن اختار واحدة اختياراً من عنده[(١)].

٢- مداراته لأزواجه ورعايتهنّ بالرفق والحبّ:

فبالرغم من كثرة مضايقات بعض نساء النبيّ ﷺ له، فإنّ ذلك لم يصرفه عن التزام الرفق والشفقة والعدل في معاملتهن، حتّى أنّه لم يضرب واحدة منهن طوال حياته، وإلى هذا أشارت إحدى نسائه بقولها: ما ضرب النبيّ ﷺ امرأة قطّ، ولا ضرب خادماً[(٢)].

ومن أخلاقه ﷺ في إطار بيته أنّه لا يأنف أبداً من مساعدة زوجاته، سواء فيما يتعلّق بالشؤون الخاصّة به، أم ما يتعلّق بهنّ.

وكان ﷺ يقول: «**ألا خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائي**». «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»[(٣)]. «**خدمتك زوجتك صدقة**»[(٤)].

ب- الأب المثالي:

كان رسول الله ﷺ يعامل أولاده بكلّ عطف ومحبّة ورفق ولين، وكان يقول ﷺ: «**أولادنا أكبادنا**»[(٥)]. وكان يسعى في تربيتهم وتعليمهم آداب الإسلام.

فقد روي: أنّ السيّدة فاطمة عليها السلام كانت إذا دخلت على رسول الله ﷺ قام لها من مجلسه وقبّل رأسها، وأجلسها في مجلسه، وإذا جاء إليها لقيته، وقبّل كلّ واحد منهما صاحبه وجلسا معاً[(٦)].

---

(١) انظر: بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج٢٠، ص٣١٠.

(٢) ميزان الحكمة، الشيخ الريشهري، ج٤، ص ٣٢٣١.

(٣) مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسي، ص٢١٦.

(٤) كنز العمال، المتقي الهندي، ج١٦، ص٤٠٨.

(٥) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٣٦٦٩.

(٦) انظر: بحار الأنوار، ج٤٣، ص٤٠.

وكان يقولﷺ: «**فاطمة بضعة منّي وهي قلبي وهي روحي الّتي بين جنبي، من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله**»[١].

وكان الحسن والحسين عليهما السلام وهما صغيران يعلوان ظهر النبيّﷺ وهو ساجد يصلّي فكان يُطيل سجوده حتّى ينزلا عن ظهره، أو ينزلهما برفق[٢].

وروي أنّ النبيّﷺ قبّلَ الحسن والحسين عليهما السلام فقال الأقرع بن حابس: إنّ لي عشرة من الأولاد ما قبّلت واحداً منهم قطّ!

فغضب رسول اللهﷺ حتّى التمع لونه وقال للرجل: «**إن كان الله قد نزع الرحمة من قلبك فماذا أصنع لك**»[٣].

وعن بريدة قال: كان رسول اللهﷺ يخطب على المنبر فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول اللهﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثمّ قال: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾[٤].

وكان رسول اللهﷺ يعطف حتّى على أطفال الآخرين، ويعاملهم بمنتهى الرفق واللين ويمنحهم شخصيّة قويّة ويحتضنهم ويمسح على رؤوسهم، ولا يُحقّر أحداً منهم.

فقد روي أنّ النبيّﷺ كان يؤتى إليه بالصبيّ الصغير ليدعو له بالبركة أو يسمّيه، فيأخذه فيضعه في حجره إكراماً لأهله، فربّما بال الصبيّ عليه، فيصيح بعض من يراه حين يبوّل فيقولﷺ: «**لا تزرموا بالصبيّ**» فيدعه حتّى يقضي بوله، ولا يظهر انزعاجه أمام أهله من بول صبيّهم، فإذا انصرفوا غسل ثوبه[٥].

---

(١) انظر: بحار الأنوار، ج٤٣، ص ١٧٢.

(٢) مكاتيب الرسول، احمد الميانجي، ج١، ص ٥٦٩.

(٣) انظر: بحار الأنوار، ج١٠١، ص ٩٢.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٢٨. بحار الأنوار، ج٤٣، ص ٢٨٤.

(٥) انظر: مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسي، ص ٢٥.

وكان ﷺ إذا قدم من سفر تلقّاه الصبيان، فيقف لهم ثمّ يأمر بهم فيرفعون إليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه، ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم، فربما يتفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض: حملني رسول الله ﷺ بين يديه وحملك أنت وراءه، ويقول بعضهم: أمر أصحابه أن يحملوك وراءهم(١).

ومما يبيّن مدى اهتمام النبيّ ﷺ بالأطفال ومنحهم الشخصيّة الكاملة واحترامهم، ما رواه الإمام الصادق عليه السلام قال: «**عطس غلام لم يبلغ الحلم عند النبيّ ﷺ فقال: الحمد لله**»، فقال له النبيّ ﷺ: «**بارك الله فيك**»(٢).

لن يطفئوا نور محمّد ﷺ

ما أحوجنا اليوم إلى تذكّر رسول الله إلى تذكّر خلقه العظيم وصبره وزهده وتواضعه وحلمه وعفوه ومحبّته ورقّته وحنانه ورأفته: ﴿وإنّك لعلى خلق عظيم﴾.

رسول الله محمّد الّذي يُحاوَل اليوم تشويه صورته وإطفاء نوره بعد أن رأى الأعداء إقبال كثير من الناس الغربيّين على الإسلام، أرادوا تشويه صورته البهيّة- ليبعدوا الناس عن نور الإسلام ونبيّه - وهذا مخطّط قديم وليس بجديد.

ففي كلام لأحد رجالات إنجلترا المعروفين -«**كلودستون**» الّذي يُعتبر من السياسيّين المتفوّقين في عصره- قال أمام جمع من الغربيّين: «**ما دام اسم النبيّ محمّد ﷺ يُرفع على المآذن، وما دامت الكعبة باقية وما دام القرآن يهدي ويوجّه المسلمين، فلا يمكن أن تترسّخ قواعد سياسة الإنجليز في الأراضي الإسلامية**».

ولكن رغم كيدهم: سيبقى ذكر النبيّ محمّد على ألسنتنا، وسيبقى نوره في قلوبنا، وستبقى أخلاقه في أخلاقنا، وسيبقى اسم النبيّ محمّد مرفوعاً على المآذن: «**أشهد أنّ محمّداً رسول الله، أشهد أنّ محمّداً رسول الله**».

(١) انظر: المحجّة البيضاء، الفيض الكاشاني، ج٣، ص٣٦٦.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٦٥٥.

نقـول للكائدين للإسلام ونبيّه كما قالت السيّدة زينب عليها السلام ليزيد: «**فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك، فوالله لن تمحو ذكرنا ولن تميت وحينا وما رأيك إلّا فند وأيّامك إلّا عدد...**»[١].

﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٢].



ومن تاب معك

لقـد جاء في القـرآن الكريم في سورة هـود: ﴿... فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ...﴾[٣]. وجـاء فـي الحديث الشريف أنّ النبـيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**شَيَّبَتْنِي سُورَةُ هُود لِمَكَانِ هذِهِ الآيةِ**»[٤].

يقـول الشيـخ العارف الكامل الشاه آبادي - روحي فداه - «هـذا، **على الرغم من أنّ هذه الآية قد جاءت في سورة الشورى أيضاً، ولكن من دون «وَمَنْ تَابَ مَعكَ»** إلّا أنّ النبيّ خصّ سورة هود بالذكر، والسبب أنّ الله تعالى طلب منه استقامة الأمة أيضاً، فكان يخشى أن لا يتحقّق ذلك الطلب، وإلّا فإنّه بذاته كان أشدّ ما يكون استقامة، بل لقد كان صلى الله عليه وآله وسلم مثال العدل والاستقامة».

إذاً، يـا أخـي، إذا كنتَ تعـرف أنّك من أتباع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وتريـد أن تحقّق هدفه، فاعمل على أن لا تخجله بقبيح عملك وسوء فعلك. ألا ترى أنّه إذا كان أحد من أولادك والمقرّبين إليك يعمل القبيح وغير المناسب من الأعمال الّتي تتعارض وشأنك، فكم سيكـون ذلك مدعاة لخجلك من الناس وسبباً فـي طأطأة رأسك أمامهم؟ ولا بدّ أن

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج٤٥، ص ١٣٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

(٣) سورة هود، آية ١١٢.

(٤) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج٥،ص ١٤٠.

تعلم أنّ رسول الله ﷺ، وعليّ عليه السلام، هما أبوا هذه الأمّة بنصّ ما قاله النبيّ الكريم: «**أنا وَعَلِيّ أَبَوا هذِهِ الأُمَّة**»[١]. فلو أُحضرنا في حضرة ربّ العالمين يوم الحساب وأمام نبيّنا وأئمّتنا، ولم يكن في كتاب أعمالنا سوى القبيح من الأعمال، فإنّ ذلك سوف يصعب عليهم ولسوف يشعرون بالخجل في حضرة الله والملائكة والأنبياء عليهم السلام. وهذا هو الظلم العظيم الّذي نكون قد ارتكبناه بحقّهم، وإنّها لمصيبة عظمى نبتلى بها، ولا نعلم ما الّذي سيفعله الله بنا؟ فيا أيّها الإنسان الظلوم الجهول، يا من تظلم نفسك! كيف تكافئ أولياءك الّذين بذلوا أموالهم وأرواحهم في سبيل هدايتك، وتحمّلوا أشدّ المصائب، وأفظع القتل، وأقسى السبي لنسائهم وأطفالهم من أجل إرشادك ونجاتك؟ فبدلاً من أن تشكرهم على ما فعلوا وتحفظ لهم أياديهم البيض نحوك، تقوم بظلمهم ظنّاً منك أنّك إنّما تظلم نفسك وحدها! استيقظ من نوم الغفلة، واخجل من نفسك، واتركهم يعانون من الظلم الّذي تحمّلوه من أعداء الدِّين من دون أن تُضيف على ظلامتهم ظلامة أخرى، لأنّ الظلم من المحبّ أشدّ ألماً وأكثر قبحاً!.[٢]

(١) بحار الأنوار، ج٣٦، ص١١.

(٢) الأربعون حديثاً، الإمام الخميني قدس سره، ص١٩٢-١٩٣.

4

ألم يجدك يتيماً فآوى

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[١]

---

(١) سورة الضحى، الآيات: ١ ـ ١١.

تمهيد

كان ينزل على رسول الله ﷺ الوحي بين الفترة والأخرى، يسمعه كلام الله يثبّت بـه فؤاده، ويؤنسه ويفرحه، ويوصل إليه التعاليـم الإلهيّة والإرشادات الربّانية، فكان يجد بذلك رسول الله أنساً لوحشته، وعوناً في تبليغ رسالته، وسكناً يرتاح إليه، وفجأة انقطـع عنه الوحي لفترة من الزمن، لحكمة إلهيّة يعلمها الله ورسوله، فأثّر ذلك في قلـب رسول الله واستوحش فيها لفقـد كلام حبيبه، ومما زاد على قلب رسول الله أن بـدأ بعض المنافقين يعيّرونــه بذلك، ويؤذونه بأنّ الله قد قلاه وبغضه وودّعه وتركه، فكان أن أرسل الله إليه جبرائيل عليه السلام يسكّن اضطراب قلبه المشتاق، فكانت سورة الضحى.

ففي الرواية عن ابن عباس أنّه قال: احتبس الوحي عن رسول الله ﷺ خمسة عشر يوماً، فقال المشركون إنّ محمّداً قد ودّعه ربّه وقلاه، ولو كان أمره من الله تعالى لتتابع عليه، فنزلـت السورة وروي أنّه لما نزلت السورة قال النبيّ ﷺ لجبرائيل عليه السلام: «**ما جئت حتّى اشتقت إليك، فقال جبرائيل عليه السلام: وأنا كنت أشدّ إليك شوقاً ولكنّي عبد مأمور وما نتنزّل إلّا بأمر ربّك**»[1].

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٦،ص٤٩٢.

النبيّ ﷺ تغمره ألطاف الله

في بداية السورة المباركة يوجد قَسَمان: الأوّل قسم بالنور، والثاني قسم بالظلمة، ويقول سبحانه والضحى وهو قسَم بالنهار - حين تغمر شمسه كلّ مكان. والليل إذا سجى أي إذا عمّت سكينته كلّ مكان. «**الضحى**» يعني أوائل النهار، أي حين يرتفع قرص الشمس في كبد السماء، ويعمّ نورها الأرض، وهو في الحقيقة أفضل ساعات النهار، لأنّه شباب النهار، وفيه لا يكون الجوّ حارّاً في فصل الصيف، ويكون الدفء قد عمّ في فصل الشتاء وتصبح خلاله روح الإنسان مستعدّة لممارسة النشاط.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾[١] أي سكن، والليلة الخالية من الرياح تسمّى «**ليلة ساجية**» أي هادئة[٢]، والبحر حين يستقر ويخلو من الأمواج الصاخبة يسمّى «**بحر ساج**»[٣].

والمهمّ في الليل هدؤوه وسكينته ممّا يضفي على روح الإنسان وأعصابه هدوءاً وارتياحاً، ويعدّ الإنسان لممارسة نشاط يوم غد، وهو لذلك نعمة مهمّة استحقّت القسَم بها. وبين القسمين ومحتوى السورة تشابه كبير وارتباط وثيق. النهار مثل نزول نور الوحي على قلب النبيّ ﷺ، والليل كانقطاع الوحي المؤقت، وهو أيضاً ضروريّ في بعض المقاطع الزمنيّة. وبعد القسمين، يأتي جواب القسم، فيقول سبحانه: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[٤]. «**قلى**» من «**قلا**» - على وزن صدا -، وهو شدّة البغض[٥].

وفي هذا التعبير سكن لقلب النبيّ ﷺ وتسلية له، ليعلم أنّ التأخير في نزول الوحي إنّما يحدث لمصلحة يعلمها الله تعالى، وليست - كما يقول أعداء النبيّ ﷺ

---

(١) سورة الضحى، الآية: ٢.
(٢) تاج العروس،ج١٩ ،ص٥٠٨.
(٣) لسان العرب،ج١٤ ،ص٣٧١.
(٤) سورة الضحى، الآية: ٣.
(٥) مفردات الراغب،ص٤١٢.

- لترك الله نبيّه أو لسخطه عليه. فهو مشمول دائماً بلطف الله وعنايته الخاصّة، وهو دائماً في كنف حماية الله سبحانه.

والله تبارك وتعالى يتابع خطابه لمحبوبه فيقول له: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾[1]، فالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الدنيا مشمول بألطاف الله تعالى، وفي الآخرة أكثر وأفضل. وهو آمن من غضب الله في الأمد القريب والبعيد.

وباختصار هو عزيز في الدنيا والآخرة، وقيل إنّ «**الآخرة**» و «**الأولى**» يشيران إلى بداية عمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ونهايته، أي إنّك ستستقبل في عمرك نصراً ونجاحاً أكثر ممّا استدبرت.

الهبة الإلهيّة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مقام الرضا

تأتي البشرى للنبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لتقول له: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[2]، وهذا أعظم إكرام وأسمى احترام من ربّ العالمين لعبده المصطفى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم. فالعطاء الربّاني سيغدق عليه حتّى يرضى و حتّى ينتصر على الأعداء ويعمّ نور الإسلام الخافقين، كما أنّه سيكون في الآخرة أيضاً مشمولاً بأعظم الهبات الإلهيّة.

والنبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم باعتباره خاتم الأنبياء عليهم السلام، وقائد البشريّة، لا يمكن أن يتحقّق رضاه في نجاته فحسب، بل إنّه سيكون راضياً حين تقبل منه شفاعته في أمّته. ومن هنا جاءت الروايات لتؤكد أن هذه الآية أكثر آيات القرآن الكريم دلالة على قبول الشفاعة منه عليه وآله أفضل الصلاة والسلام. فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**أشفع لأمّتي حتّى يناديني ربّي: أرضيت يا محمّد؟ فأقول: نعم يا ربّ رضيت**»[3].

---

(١) سورة الضحى، الآية: ٤.

(٢) سورة الضحى، الآية: ٥.

(٣) الميزان للطباطبائي، ج٢٠، ص٣٠٨.

الشكر على كلّ هذه النعم الإلهيّة

إنّ الهدف من هذه السورة المباركة تسلية قلب النبيّ ﷺ وبيان ألطاف الله الّتي شملته، وهذه الآيات المذكورة أعلاه تجسّد للنبيّ ﷺ ثلاث هبات من الهبات الخاصّة الّتي أنعم الله بها على النبيّ ﷺ، ثمّ تأمره بثلاثة أوامر.

١. ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾[(١)]: فقد كنت في رحم أمّك حين توفّي والدك فآويتك إلى كنف جدّك عبد المطلب «سيّد مكّة». وكنت في السادسة حين توفيّت والدتك، فزاد يتمك، لكنّني زدت حبّك في قلب «عبد المطلب». وكنت في الثامنة حين رحل جدّك «عبد المطلب»، فسخّرت لك عمّك «أبا طالب»، وليحافظ عليك كما يحافظ على روحه. نعم، كنت يتيماً فآويتك.

٢. ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾[(٢)]: نعم، لم تكن أيّها النبيّ ﷺ على علم بالنبوّة والرسالة، ونحن أنزلنا هذا النور على قلبك لتهدي به الإنسانيّة، وهذا المعنى ورد في قوله تعالى أيضاً: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[(٣)].

٣. ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[(٤)]. لقد جعلناك تستأثر باهتمام «**خديجة**» هذه المرأة المخلصة الوفية لتضع كلّ ثروتها تحت تصرفك ومن أجل تحقيق أهدافك، وبعد ظهور الإسلام رزقك مغانم كثيرة في الحروب ساعدتك في تحقيق أهدافك الرسالية الكبرى.

وقد ورد عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في تفسير هذه الآيات قال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾[(٥)]، قال: «**فرداً لا مثيل [له] في المخلوقين، فآوى**

(١) سورة الضحى، الآية: ٦.

(٢) سورة الضحى، الآية: ٧.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٤) سورة الضحى، الآية: ٨.

(٥) سورة الضحى، الآية: ٦.

الناس إليك. ووجدك ضالاً أي ضالة في قوم لا يعرفون فضلك فهداهم إليك. ووجدك عائلاً، تعول أقواماً بالعلم فأغناهم بك»[(١)]، [(٢)].

إنّ هذه الآيات في الواقع هي بيان ما أغدق الله على نبيّه من ألطاف وإكرام واحترام، حين يتحدّث المحبوب عن ألطافه بحقّ العاشق الواله، فإنّ حديثه هذا هو عين اللطف والمحبّة، وهو دليل على عنايته الخاصّة، والعاشق بسماعه هذه الألفاظ تسري في جسده روح جديدة، وتصفو نفسه ويغمر قلبه سكينة وهدوء.

فقد النبيّ ﷺ لأبويه

لقد شاءت الإرادة الإلهيّة أن يفقد النبيّ ﷺ أباه وهو لا يزال جنيناً. ثمّ فقد أمّه بعد عودته من بني سعد، وهو في الرابعة من عمره، أو في السادسة، على اختلاف الروايات. وقد استأذن رسول الله ﷺ ربّه في زيارة قبر أمّه، فأذن له. فقد روى مسلم في صحيحه، أنّه ﷺ قال: «**استأذنت ربّي في زيارة أمّي، فأذن لي، فزوروا القبور تذكّركم الموت**»[(٣)].

﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾[(٤)]: أي لا تحقّر، وهذا يدلّ على أن هناك مسألة أهمّ من الإطعام والإنفاق بشأن الأيتام، وهي اللطف بهم والعطف عليهم وإزالة إحساسهم بالنقص العاطفي، ولذا جاء في الحديث المعروف عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**من مسح رأس يتيم، كانت له بكلّ شعرة مرّت عليها يده حسنات**»[(٥)]. كأن الله يخاطب نبيّه قائلاً: لقد كنت يتيماً أيضاً وعانيت من آلام اليتم، والآن عليك أن تهتمّ بالأيتام كلّ اهتمام وأن تروي روحهم الظمأى بحبّك وعطفك.

---

(١) بحار الانوار، ج١٦، ص١٣٩.

(٢) راجع: تفسير الأمثل، ج ٢٠، ص ٢٨٠ - ٢٨٣.

(٣) كشف الغمة، ج ١، ص ١٦، عن مسلم، وصحيح مسلم ط سنة ١٣٣٤، ج ٣، ص ٦٥، وتاريخ الخميس، ج١، ص ٣٣٥، والحديث موجود في مصادر عديدة كما يظهر من مراجعة كتاب الجنائز في كتب الحديث.

(٤) سورة الضحى، الآية: ٩.

(٥) مستدرك الوسائل، ج١، ص ١٤٨.

وقد روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال: «**إذا بكى اليتيم وقعت دموعه في كف الرحمن**»[١].

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[٢]. فلا تردّه بخشونة، واعطف عليه وارحمه وأحسن ملقاه.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٣]، فقد كان النبيّ يحدّث الناس بنعم الله تعالى عليه قولاًش وفعلاً.

كفالة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

لقد عاش صلى الله عليه وآله وسلم في كنف جدّه عبد المطلب، الّذي كان يرعاه خير رعاية، ولا يأكل طعاماً إلّا إذا حضر، وكان عارفاً بنبوّته حتّى روي أنّه قال عنه لمن أراد أن ينحّيه عنه، وهو طفل يدرج: «**دع ابني فإنّ الملك قد أتاه**»[٤].

في السنة الثامنة من عمره صلى الله عليه وآله وسلم توفّي جدّه عبد المطلب، فاختار الله له أبا طالب رحمه الله ليكفله، ويقوم بشؤونه، ويحرص على حياته، رغم أن أبا طالب لم يكن أكبر ولد عبد المطلب سنّاً، ولا أكثرهم مالاً، لأنّ الأسنّ فيهم كان هو الحارث، والأكثر مالاً هو العبّاس. ولكن عذر العبّاس هو أنّه كان حينئذ صغيراً أيضاً، لأنّه كان أسنّ من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بسنتين فقط، كما يقولون.

كما أنّ أبا طالب قد كان شقيق عبد الله والد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأبيه وأمّه، فإنّ أمّهما هي فاطمة المخزومية، وطبيعيّ أن يكون لأجل ذلك أكثر حناناً وعطفاً عليه وحبّاً له. ثمّ إنّ أبا طالب الّذي كان هو وزوجته أم أمير المؤمنين عليه السلام يحملان نور الولاية، قد كانا يحملان من المكارم والفضائل النفسيّة والمعنويّة ومن الطهارة ما يؤهّلهما لأن يكونا كفيلين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبوين لوصيّه، وللأئمّة من ذرّيته. وقد عهد عبد المطلب إلى أبي طالب عليه السلام بمهمّة كفالته صلى الله عليه وآله وسلم، لأنّه كان بالإضافة إلى ما تقدّم أنبل إخوته، وأكرمهم،

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٣١، ص ٢١٩.

(٢) سورة الضحى، الآية: ١٠.

(٣) سورة الضحى، الآية: ١١.

(٤) الكافي، ج ١، ص ٣٧٢.

وأعظمهم مكانة في قريش، وأجلّهم قدراً. ولقد قام أبو طالب عليه السلام برعايته صلى الله عليه وآله وسلم خير قيام، ولم يزل يكرّمه ويحبّه غاية الحبّ، وينصره بيده ولسانه طول حياته.

القيادة المنطلقة من المعاناة والآلام

الآيات الكريمة في هذه السورة، ضمن سردها النعم الإلهيّة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تعكس أيضاً مسألة يتم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في صباه، وظروفه الماديّة الصعبة الّتي عاناها، والأتعاب والآلام الّتي قاساها، وقد انطلق من بين هذه الآلام، وعلى القائد الإلهيّ الإنسانيّ أن يدرك صعوبة ومرارة العيش، ويتلمّس بنفسه الظروف القاسية، ويشعر بكلّ وجوده الحرمان، كي يستطيع أن يتفهّم صحيح ما تعانيه الفئات المحرومة، ويتحسّس آلام الناس ومعاناتهم في معيشتهم. عليه أن يشعر بآلام الأطفال الأيتام، أن يبقى كي يعيش آلام الجياع، ويتحمّل أتعاب المحرومين والمظلومين، لذلك كانت تغرورق عيناه بالدموع حين يرى يتيماً، وكان يضمّ ذلك اليتيم إلى صدره ويداعبه بكلّ حرارة.

والقائد الربانيّ كنبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم كان يتفهّم ما يعانيه مجتمعه من فقر ثقافي، ويعتزّ بكلّ من يأتيه لطلب المعرفة أو العلم، ويستقبله بصدر رحب.

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم راعياً للغنم

في حديث عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: «**ما بعث الله نبيّاً قط حتّى يسترعيه الغنم يعلّمه بذلك رعيّة الناس**»[١].

إنّ في رعي الغنم دروساً في تحمّل الآلام، وفي الصبر أمام موجود ضعيف قليل الشعور، كما أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم استلهام دروس التوحيد والعرفان من خلال حياة الصحراء والعيش في أحضان الطبيعة. وفي رواية أن موسى بن عمران عليه السلام سأل ربّه عن سبب اختياره لمقام النبوّة، فجاءه الجواب: «**أتذكر يوماً أنّ حملاً قد فرّ**

(١) مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ٥١٤.

مـن قطيـع غنمك فتبعته حتّـى أخذته ثمّ قلت له: لماذا أتعبـت نفسك، ثمّ حملته علـى كتفـك، وجئت به إلـى القطيع، ولذلك اخترتك راعياً لخلقـي»[١]، وهذا يعني أنّ الله تعالـى رأى في النبيّ موسى عليه السلام قدرة فائقة على التحمّل تجاه هذا الحيوان ممّا يدلّ على قوة روحيّة فائقة أهلته لهذه المنزلة الكبيرة.

لماذا الرضاع في البادية؟

كان إرسـال الأطفـال إلى البادية للرضاع، هو عادة أشـراف مكّة، حيث يرون أنّ بذلك ينشأ أطفالهم: أصحّ أبداناً، وأفصح لساناً، وأصفى فكراً وقريحة، وهي نظرة صحيحة وسليمة، وذلك لما يلي:

أ-أمّا كونهم: أصحّ أبداناً، فلأنّهم يعيشون في الهواء الطلق، ويواجهون مصاعب الطبيعـة فتصير لديهم مناعـة طبيعيّة تجاه مختلـف المتغيّرات، في مختلف الظروف.

ب- وكونهم أفصح لسانـاً، من حيث إنّهم يقلّ اختلاطهم بأهل الأقطار الأخرى، مـن الأمم الأخرى، علـى العكس من سكّان المدن، ولا سيّمـا مكّة، الّتي كانت تقيـم علاقات تجاريّـة بينها وبين سائر الأقطـار والأمم. ولهـا رحلتا الشتاء والصيـف، إلـى البلاد الّتي تتاخم البلاد الأجنبيّة، الّتـي لا يبعد تأثّرها بها - قليلاً كان ذلك أو كثيراً-.

ج - وأمّـا أنّهـم أصفى فكـراً وقريحة، فهـو لأنّ الإنسان يبتعـد حينئذ عن هموم المدينـة، وعـن علاقاتهـا المعقّدة والمرهقة، حيـث لا يواجه فـي البادية إلّا العيش السـاذج والبسيـط، والحيـاة علـى طبيعتهـا. ولا يتأثّر فكـره وعقله، بالمفاهيـم والأفكار الّتي تفرضها تلك الحياة المثقلـة بالعلاقات المنحرفة، ثـمّ هو يجـد الفرصة للتأمّل والتفكيـر والتعرّف على أسـرار الطبيعة والكون، ولو فـي حدود عالمه الناشئ المحـدود، ومداركه الناشئـة أيضاً. وليكون من

(١) تفسير الامثل،ج٢٠،ص٢٨٧.

ثـمّ ذا فكر مبدع خلّاق، وقريحة صافية وغنيّـة. ولكن بشرط عدم الاستمرار فـي هذه الحياة طويـلاً ، فإنّ الاستمرار فـي حياة البادية مـن شأنه أن يجعل الإنســان يعانــي من الجمود والانغلاق، ثـمّ هو يكون لنفسه مفاهيـم وأفكاراً، يحوّلها الزمن إلى حقائق لا تقبل الجدل عنده، ويصير من الصعب عليه قبول أي رأي آخـر يسير في غير اتجاه قناعاته وأفكاره، فإنّ تدرّب الإنسان على أن يسمـع النقد والمخالفة في الرأي يبعده عن الاستبداد الفكريّ، ويجعله يبحث عـن الدليل، والمبرّر لكلّ فكـرة لديه. وإلّا ، فإنّه يصير علــى استعداد للتخلّي عنهـا إلــى غيرها ممّا يستطيع أن يدافع عنه ويستــدل عليه. وهذا أمر طبيعي يعرفه الإنسان بالمشاهدة، ويستدلّ عليه بالتقصيّ والتجربة.



النبيّ ﷺ الأسوة

فَتَأَسَّ بِنَبِيِّـكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَـرِ ﷺ فَإِنَّ فِيهِ أُسْـوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وعَـزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى وأَحَـبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللّٰهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ والْمُقْتَصُّ لِأَثَـرِهِ قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً ولَمْ يُعِرْهَا طَرْفـاً أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً وأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَـا وعَلِـمَ أَنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ وحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ وصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ ولَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللّٰهُ ورَسُولُهُ وتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللّٰهُ ورَسُولُهُ لَكَفَى بِهِ شِقَاقاً لِلّٰهِ ومُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللّٰهِ.

وَلَقَـدْ كَانَ ﷺ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ ويَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ ويَخْصِـفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ ويَرْقَعُ بِيَـدِهِ ثَوْبَـهُ ويَرْكَبُ الْحِمَـارَ الْعَارِيَ ويُرْدِفُ خَلْفَـهُ ويَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَـابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيـهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ يَا فُلَانَةُ لِإِحْدَى أَزْوَاجِهِ غَيِّبِيهِ عَنِّي فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وزَخَارِفَهَا.

فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ وأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ وأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً وَلَا يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً وَلَا يَرْجُوَ فِيهَا مُقَاماً فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ وأَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ وغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ.

وكَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ وأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ.

ولَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِئِ الدُّنْيَا وعُيُوبِهَا إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ وزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ.

فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ أَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ فَإِنْ قَالَ أَهَانَهُ فَقَدْ كَذَبَ واللهِ الْعَظِيمِ بِالإِفْكِ الْعَظِيمِ وإِنْ قَالَ أَكْرَمَهُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ وزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ.

فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ واقْتَصَّ أَثَرَهُ ووَلَجَ مَوْلِجَهُ وإِلَّا فَلَا يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ مُحَمَّداً ﷺ عَلَماً لِلسَّاعَةِ ومُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ ومُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ.

خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً ووَرَدَ الآخِرَةَ سَلِيماً لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ وأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ وقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ[1].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٦٠.



كرامات رسول الله ﷺ

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾(١)

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

تمهيد

لا شكّ أنّ لكلّ نبيّ من أنبياء الله سبحانه كرامة اختصّه الله سبحانه بها، إلّا أنّ خاتم النبيّين محمّد بن عبد الله ﷺ قد اختصّه الله سبحانه وتعالى بكرامات عدّة حال وجوده المقدّس بين الناس، وحتّى بعد وفاته، ونحن ذاكرون في هذا الدرس أبرز كراماته ﷺ ومسلّطون الضوء عليها مجتمعة بعد أن تقدّمت الإشارة إلى بعضها في طيّات الدروس السابقة.

١ـ الأسوة الحسنة

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1].

وهذه من أهمّ الكرامات للنبيّ الأكرم ﷺ حيث اعتبره الله أسوة وقدوة لجميع الناس إلى يوم القيامة، ووصف الله سبحانه هذه الأسوة بأنّها حسنة، لأنّه كثيراً ما يتّبع الناس بعض القادة والزعماء والملوك ويقتدون بهم، أو بآبائهم، وقد ذمّ الله سبحانه هذا النحو من الاتّباع بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[2].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.

لكن اتّباع الرسول ﷺ أمر مطلوب، حيث عدّه الله سبحانه أسوة حسنة واختصّه بمكارم الأخلاق، ففي الرواية عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام: «**إنّ الله خصّ رسوله بمكارم الأخلاق، فامتحنوا أنفسكم، فإن كانت فيكم فاحمدوا الله عزّ وجلّ وارغبوا إليه في الزيادة منها، فذكرها عشرة... الحديث**»[1].

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**إنّي لأكره للرجل أن يموت وقد بقي خلّة من خلال رسول الله ﷺ لم يأتِ بها**»[2].

وفي حديث مستفيض: «**إنّ أحسن السنن سنّة الأنبياء**»[3].

وفي حديث آخر: «**خير السنن سنّة محمّد ﷺ**».

وطريقة فهم هذه الأحاديث تعطي النتيجة التالية:

إنّ خير السنن هي سنّة الأنبياء وخيرهم سنّة سنّة نبيّنا محمّد ﷺ، وعلى الإنسان أن يتبع ويقتدي بسنّته وسيرته وصفاته وخلاله، وهذه كرامة اختصّه الله بها ﷺ على سائر العالمين.

٢ـ رحمة للعالمين

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[4] فهو ﷺ ليس رحمة لأهل مكّة أو أهل المدينة فقط وليس رحمة للمسلمين الّذين كانوا معه، ولا للمسلمين عامّة، وإنّما هو بنصّ الآية القرآنية رحمة للعالمين جميعاً، في الدنيا والآخرة.

٣ـ أمان من العذاب

فقد ورد في النهج الشريف أنّه [أي أمير المؤمنين عليه السلام] قال: «**كان في الأرض**

(١) مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسي، ص ١٩.

(٢) م.ن، ص ٣٩.

(٣) إرشاد القلوب، الديلمي، ج ١، ص ١٥٧.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

أمانان من عذاب الله، وقد رُفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسّكوا به، أمّا الأمان الّذي رفع فهو رسول الله ﷺ وأمّا الأمان الباقي فالاستغفار؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[1]».

فهو ﷺ قد اختُصّ بهذه الكرامة أنّه أمان لأهل الأرض، فرفع الله سبحانه العذاب أي عذاب الاستئصال عن أمّة النبيّ ﷺ ببركة وجوده بينما كانت الأمم السابقة مهدّدة ومعذّبة بهذا العذاب.

٤ ـ ٥ ـ اتّباعه يوجب محبّة الله ومغفرة الذنوب

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]

فالآية القرآنية صريحة بأنّ اتّباع النبيّ ﷺ له ثمرة عظيمة وكرامة اختصّه الله بها ألا وهي محبّة الله للعبد الّذي يتّبع النبيّ ﷺ، والله إذا أحبّ عبداً قرّبه منه وأدخله الجنّة، ولا يدخل الجنّة مذنب وصاحب ذنوب، لذلك يترتّب على هذه المحبّة أن يغفر الله سبحانه ذنوب العبد أيضاً وهذه كرامة أخرى للنبيّ ﷺ.

ومن الطبيعي جدّاً أنّ الحبّ لا بدّ أن يستتبع عملاً «**إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع**».

٦ـ اتّباعه هداية ورشاد

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[3].

إنّ اتّباع النبيّ ﷺ له ثمرة على صعيد الهداية للإنسان وهو ما يرتبط بحياة الإنسان المتّبع للنبيّ ﷺ، حيث يوصله النبيّ ﷺ بهذا الاتّباع إلى الهداية وإلى الرشاد.

---

(١) سورة الانفال، الآية: ٣٣. نهج البلاغة، ج ٤، ص ١٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

٧ـ واسطة في المغفرة

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾[(١)]. إنّ هـذه الآيـة تشير إلـى أنّ الاستغفار بالنسبة إلـى المنافقين ـ سواء استغفر لهم الرسول ﷺ أم لا ـ لم يكن ليجديهم نفعاً:

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[(٢)] لأنّ حقيقـة الاستغفار هـو الاعتذار إلى الله عزّ وجلّ وطلـب المغفـرة والرضوان منـه ليتوب على العاصـي ويعفو عن سـوء صنيعه، وهذا المعنـى يلحق المؤمنيـن الّذين عملوا السـوء بجهالة ثمّ ندموا عـن قريب فاعتذروا إلى الله ليتوب عليهـم بالمغفرة، فكانت كرامة النبيّ ﷺ أنّه واسطة للمغفرة لهؤلاء المؤمنيـن المذنبين، فيعطف عليهم تحنّناً وإشفاقاً ويستغفر لهم الله وعندها تظهر كرامة هذا النبيّ العظيم ﷺ فيغفر الله لهم.

٨ـ الوسيلة إلى الله سبحانه

روى الشيـخ الطوسي أنّـه يُستحبّ إذا سمع المؤذّن يؤذّن أن يقول: «.... **اللهمّ ربّ هـذه الدعـوة التامّـة والصلاة القائمـة آتِ محمّـداً الوسيلة والشفاعـة والفضيلة وارزقه المقام المحمود الّذي وعدته....**»[(٣)].

وفـي حديث عن رســول الله ﷺ أنّه قال: «**نحـن الوسيلة إلـى الله والوصلة إلى رضوان الله**»[(٤)].

وفـي هذا المضمون روايات عديدة تشير إلى أنّ النبيّ الأكرم ﷺ أُختص بكرامة

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٦.

(٣) المبسوط، الشيخ الطوسي، ج ١، ص ٩٧.

(٤) مستدرك سفينة البحار، عليّ النمازي الشاهرودي، ص ٣٠٤.

مــن اللّه هــو وأهل بيته عليهم السلام ألا وهي أنّهم كانوا الوسيلة إليه سبحانه، فهم الهادون إليــه والدّالّون عليه والمرشدون إلى سبيلــه. وقد أمرنا اللّه سبحانه وتعالى في كتابه أن نبتغــي الوسيلــة إليــه بقولــه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[1].

٩ـ طاعتهُ مقرونة بطاعة اللّه

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾[2] وكذلــك فــي ســورة التغابــن الآية ١٢، وسورة النساء الآية، ٩٥، وســورة المائدة الآية، ٩٢، وسورة النور، الآية ٥٤.

نلاحظ أنّه سبحانه قرن بين طاعته وطاعة النبيّ ﷺ، وهذه كرامة أخرى يُفهم من خلالها أنّ من أراد التقرُّب إلى اللّه تعالى عليه أن يتقرّب بالنبيّ ﷺ ولا فرق بين طاعة اللّه وطاعة النبيّ ﷺ فطاعته طاعة اللّه وغضبه غضب اللّه، وأذيّته أذى اللّه، وبذلك تُمثّل هذه الكرامة في وجوده المقدّس أنّه المعيار والميزان في الأرض لمعرفة رضا اللّه سبحانه.

١٠ـ حكمه حكم اللّه

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[3].
ومــن الواضح أنّ العطف بحــرف الواو يفيد ـ كما قال أهل اللغة ـ التشريك في الحكم والمعنى: فردّوه أي النزاع إلى اللّه والرسول فاللّه والرسول مشتركان معاً في الحكم، فأيّهمــا يحكــم يكون الحــقّ والصواب، وهذا يعنــي أنّ حكمه هو حكــم اللّه، وقضاءه قضاء اللّه سبحانه، وهذه من أعظم الكرامات الّتي أختصّه اللّه بها.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

(٢) سورة محمد، الآية: ٣٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

١١. خطاب الله له

فنلاحظ أنّ الله سبحانه وتعالى كلّما أراد أن يُنادي النبيّ الأكرم ﷺ ناداه بخطاب يا أيّها النبيّ أو يا أيّها الرسول ولم يناده باسمه أبداً في القرآن الكريم، بينما نجد هذه الكرامة غير ظاهرة مع سائر الأنبياء حيث ناداهم سبحانه بأسمائهم، يا آدم، يا نوح، يا موسى، يا عيسى، يا إبراهيم..... وهكذا.

﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[١]، ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾، ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[٢].

١٢. الشفاعة

عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّما شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي**»[٣].

وفي رواية يُوضّح فيها الإمام الصادق عليه السلام كيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر، حيث سأله ابن أبي عمير: يا بن رسول الله كيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[٤] فقال عليه السلام: «**يا أبا أحمد ما من مؤمن يذنب ذنباً إلّا ساءه ذلك وندم عليه، وقد قال رسول الله ﷺ:**

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٥ ـ ٣٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٥، ص ٣٣٤ ح ٤.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

كفى بالندم توبة، وقال عليه السلام: «**من سرّته حسنته وساءته سيّئته فهو مؤمن، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب الشفاعة له. إلى أن قال: قال النبيّ** ﷺ: «**لا كبير مع الاستغفار ولا صغير مع الإصرار**»[1].

والشفاعة لهذه الفئة من الناس مختصّة بالنبيّ الأكرم ﷺ فهي كرامة عظيمة اختصّه الله بها.

ومن الطبيعي جدّاً أنّ لشفاعة النبيّ ﷺ وأهل البيت عليهم السلام شروطاً لا بدّ من توفّرها في العبد، فلا ينبغي الاعتماد على الشفاعة فقط، وليس المقام للحديث عن هذه الشروط.

وفي الختام

هذه بعض كرامات رسول الله ﷺ وكفى بواحدة فقط أن تخلّد صاحبها في الدنيا والآخرة، وتجعله محترماً مصاناً لدى عامّة الناس، لكن لا يُدرك الناس عظمة هذا النبيّ الكريم، ولا فضله ولا حقيقة واحدة من كراماته. وهو ﷺ رغم كلّ خصائصه وشمائله وقدرته وولايته وقربه من الله سبحانه يتحمّل الأذى حيّاً وميتاً، فقد قالها وكأنّه «**أرواحنا فداه**» ما زال يردّدها «**ما أوذي نبيّ مثل ما أُوذيت**».



أبو طالب والنبيّ ﷺ

روى أبو سعيد الواعظ في كتاب شرف المصطفى أنّه لمّا حضرت عبد المطلب الوفاة دعا ابنه أبا طالب فقال له: يا بنيّ قد علمت شدّة حبّي لمحمّد ووجدي به أنظر كيف تحفظني فيه؟ قال أبو طالب: يا أبه لا توصني بمحمّد فإنّه ابني وابن

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٥، ص ٣٣٥، ح ١١.

أخـي، فلمّا توفّي عبد المطلـب كان أبو طالب يؤثره بالنفقة والكسوة على نفسه وعلى جميـع أهلـه. وعن ابن عباس قال أبو طالب لأخيه: يـا عبّاس أخبرك عن محمّد إنّي ضممتـه فلمّـا أفارقه ساعة من ليل أو نهـار فلم أأتمن أحداً حتّـى نوّمته في فراشي فأمرته أن يخلع ثيابه وينام معي فرأيت في وجهه الكراهية فقال:

يا عمّاه اصرف بوجهك عنّي حتّى أخلع ثيابي وأدخل فراشي، فقلت له: ولم ذاك؟ فقـال: لا ينبغي لأحـد أن ينظر إلى جسدي فتعجّبت من قولـه وصرفت بصري عنه حتّـى دخـل فراشه فـإذا دخلت أنا الفراشـ إذا بينه وبيني ثوب والله مـا أدخلته في فراشي فأمسّه فإذا هو ألين ثوب ثمّ شممته كأنّه غمس في مسك، وكنت إذا أصبحت فقدتـه فكان هـذا دأبي ودأبه، وكنت كثيـراً ما أفتقده في فراشي فـإذا قمت لأطلبه بادرني من فراشي، ها أنا ذا يا عمّ فارجع إلى مكانك.

وكان النبيّ ﷺ يأتي زمزم فيشرب منها شربة فربما عرض عليه أبو طالب الغدا فيقول لا أريده أنا شبعان. وكان أبو طالب إذا أراد أن يعشّي أولاده أو يغدّيهم يقول كما أنتـم حتّى يحضر ابنـي، فيأتي رسول الله فيأكل معهم فيبقى الطعام. وروى القاضي المعتمـد فـي تفسيره قال أبو طالب: لقد كنت كثيراً ما أسمع منه إذا ذهب من الليل كلامـاً يعجبنـي وكنّا لا نُسمّي على الطعام ولا على الشـراب حتّى سمعته يقول: بسم الله الأحـد، ثمّ يأكل فإذا فرغ من طعامه قـال: الحمد لله كثيراً. فتعجّبت منه وكنت ربمـا أتيـت غفلة فأرى من لدن رأسه نوراً ممدوداً قد بلـغ السماء ثمّ لم أر منه كذبة قطّ ولا جاهلية قطّ ولا رأيته يضحك في غير موضع الضحك ولا مع الصبيان في لعب ولا التفت إليهم وكانت الوحدة أحبّ إليه[1].

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ١، ص ٣٥.



الأدب مع رسول الله ﷺ

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾[1]

---

(١) سورة الفتح، الآيتان: ٨-٩.

تمهيد

إنّ الإسلام العظيم دعا في كثير من تعاليمه إلى حسن الأدب والتعامل،مع اللّه تعالى ومع أنبيائه عليهم السلام - لا سيّما خاتمهم النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم - ومع الناس بشكل عام.

وكلّما ازداد مقام الإنسان وارتفعت درجته عند اللّه تعالى كلّما ازدادت الآداب ودرجة الاحترام تجاهه.

ولا شكّ أنّ مقام رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم عظيم وجليل، وخدماته العظيمة للإنسانية جمعاء قد اعترف بها كثير من منصفي العالم الغربي،ولا ينكر عظمة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلّا كلّ جاهل أومريض قلب يعرف الحقّ وينكره.

وقد دأب الناس على احترام قياداتهم والتأدّب معهم مزيد تأدُّب، لما أدّوه من خدمات وجهد في سبيل مجتمعاتهم.

ونحن ذاكرون بعض الآداب مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قائدنا ومقتدانا الّذي له كلّ الأدب والاحترام والتبجيل.

١- أدب المحبّة

وذلك بمحبّته صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من كلّ متعلّقاتنا وحتّى أكثر من أنفسنا، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ

تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[١].

وعن رسول الله: «**لا يؤمن عبد حتّى أكون أحبّ إليه من نفسه، ويكون عترتي أحبّ إليه من عترته، ويكون أهلي أحبّ إليه من أهله، ويكون ذاتي أحبّ إليه من ذاته**».[٢]

وهذا الحديث يشير إلى ضرورة حبّ أهل البيت عليهم السلام، فمن يحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلزم عليه أن يحبّ أهل بيته عليهم السلام وإلّا لا يكون محبّاً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- أدب الاتّباع

وذلـك بتحقيق تعاليم رسول الله عمليّاً فـلا يكفي ادّعاء الحبّ القلبي،لأنّ حقيقة الحبّ يعني العمل بتعاليم من تحبّ.

قـال تعالـى: ﴿ **قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ** ﴾[٣].

روي عن رسول الله أنّه قال، حرصاً منه على اتّباع أمّته له واستقامتها : «**شيّبتني سورة هود**»[٤].

ونقـل عـن ابن عباس في تفسير الحديث الشريف – آنف الذكر – أنّه ما نزل على رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية كانت أشـدّ عليه ولا أشقّ من آية: ﴿ **فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ** ﴾.

كمـا نُقـل عن بعض المفسّريـن أنّ أحد العلمـاء رأى رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فسألـه عـن سبب ما نُقل عنه من قوله: «**شيّبتني سـورة هود**» أهو ما سلف من الأمم

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٧، ص ١٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٤) نور الثقلين، ج ٢، ص ٣٣٤.

السابقة وهلاكها؟ فبيّن له صلى الله عليه وآله وسلم أنّ سببه آية: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾[(١)(٢)].

فرسول الله لا شكّ في استقامته ولكن ما كان يهمّه هو اتّباع أتباعه له واستقامتهم على طريقه.

فلنكن حريصين على قلب رسول الله وعدم أذيّته وذلك باتّباعه والاستقامة في طريق ذات الشوكة.

٣- أدب الصلاة عليه

وذلك بالصلاة عليه عند ذكره،قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[(٣)].

ونلاحظ في الآية الكريمة أنّ الله تعالى ابتدأ بالصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ الملائكة وبعد ذلك أمر المؤمنين أن يُصلّوا عليه، وهذا ما يدلّ على أهميّة هذا الأدب وإلى أيّ مستوى رفيع قد وصل، إلى حدّ أنّ الله تعالى بعظمته وعزّته وجلاله والملائكة بمقامهم قاموا بفعل هذا الأدب.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ قوماً من أصحابه سألوه عند نزول هذه الآية عليه فقالوا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نُسلّم عليك، فكيف نُصلّي عليك؟ فقال: «**تقولون: اللهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد**»[(٤)].

فبيّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الصلاة عليه الّتي افترض الله عزّ وجلّ عليهم أن يصلّوها عليه، ملازمة للصلاة على أهل بيته عليهم السلام.

(١) سورة هود، الآية: ١١٢.
(٢) روح المعاني، ج ٢، ص ٢٠٦.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.
(٤) دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي، ج١، ص٢٩.

وعـن رسـول الله ﷺ: «**لا تصلّوا علـيّ الصلاة البتـراء فقالـوا ومـا الصـلاة البتراء؟ قال تقولون: «اللهمّ صلِّ على محمّد «وتمسكون بل قولوا اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد**»[1].

عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «**سمع أبي رجلاً متعلّقاً بالبيت وهو يقول: اللهـمّ صـلِّ علـى محمّد، فقال له أبـي: يا عبد الله لا تبترهـا لا تظلمنا حقّنا قل: اللهمّ صلِّ على محمّد وأهل بيته**»[2].

وقـد دعانا الإمام عليّ عليه السلام إلى الإكثار من الصـلاة على النبيّ وآله: «**نحمده بالحمـد الّـذي ارتضـاه مـن خلقـه وأوجب قبوله علـى نفسـه وأشهـد أن لا إله إلّا الله وحـده لا شريـك لـه وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسولـه، شهادتان ترفعان القول وتضاعفـان العمـل، خـفّ ميـزان ترفعـان منـه وثقـل ميـزان توضعـان فيـه وبهما الفـوز بالجنّـة والنجاة من النار والجواز على الصـراط وبالشهادة تدخلون الجنّة وبالصـلاة تنالون الرحمـة، أكثروا من الصلاة على نبيّكم:** ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾...»[3][4].

٤-٥- أدب الاحترام والدفاع

وذلـك باحتـرام الرسول وتوقيـره والدفـاع عنه،يقول سبحانـه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾[5].

كلمة «**تعزّروه**» مشتقة من مادة عزر، وهو في الأصل يعني «**المنع**» ثمّ توسّعوا فيه فأطلق على كلّ دفاع ونصرة وإعانة للشخص في مقابل أعدائه.

---

(١) الحدائق الناضرة، المحقق البحراني، ج٨، ص٤٦٥، رواه عن ابن حجر في صواعقه.

(٢) الكافي، ج٢، ص٤٩٥.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٤) م.ن، ج٨، ص١٩.

(٥) سورة الفتح، الآيتان: ٨-٩.

وكلمة «**توقّروه**» مشتقّة من مادّة توقير، وجذورها «**الوقر**» ومعناها الثقل. فيكون معنى التوقير هنا التعظيم والتكريم والاحترام.

٦-٧- أدب عدم التقدّم على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وخفض الصوت

وقد نهى اللّه تعالى عن أفعال فيها عدم احترام لرسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ،فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(١)].

ففي الآيات ذكر ثلاثة آداب:

أ - **عدم التقدُّم على اللّه ورسوله:** والمراد من عدم التقدُّم بين يدي اللّه ورسوله هو أن لا يُقترح عليهما في الأمور، وترك العجلة والإسراع أمام أمر اللّه ورسوله.

إنّ مسؤولية انضباط السائرين إزاء القادة وخاصّة إزاء القادة الإلهيين تقتضي ألّا يتقدّموا عليهم في أيّ عمل وقول ولا يعجل أحد عندهم.

ب- **عدم رفع الصوت عند رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم :** فقد جعل اللّه سبحانه رفع الصوت عنده سبباً من أسباب حبط العمل، وينبغي العلم أنّ هذا الأدب يجب التأدُّب به في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبعد مماته ويكون هذا الأدب بعد مماته بألّا يرفع المرء صوته عند زيارة قبره الشريف مثلاً.

ج- **عدم الجهر بالقول عند مخاطبته صلى الله عليه وآله وسلم :** بل يخفض الصوت عند التّكلم معه احتراماً له.

---

(١) سورة الحجرات، الآيات: ١ـ٥.

٨- أدب المناداة

وقال تعالى تأكيداً على احترام رسول الله: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١].

فهذا يعني أنّه عندما تدعون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فينبغي أن تدعوه بأدب واحترام يليق بمنزلته، وليس كما تدعون بعضكم بعضاً.

وسبب نزول هذه الآية يكمن في أنّ جماعة من المسلمين لم يتعلّموا – بعد – الآداب الإسلامية في التعامل مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فكانوا ينادونه صلى الله عليه وآله وسلم بعبارة: يا محمّد! وهذا لا يليق بنداء قائد إلهي كبير.

وتستهدف الآية تعليم الناس أن يدعوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعبارات رزينة وبأسلوب مؤدّب، كأن يدعوه رسول الله، أو نبيّ الله أو نبيّ الرحمة أو خاتم النبيّين أو سيّد المرسلين.

فحريّ بالمؤمن إن سمع هذا أن يتأدّب بهذا الأدب فلا يذكر اسم نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم إلّا ومقروناً بكلمة رسول الله أو نبيّ الله وأمثال ذلك.

اللهمّ زدنا محبّة لرسولك وأهل بيته الأطهار.

اللهم زدنا اتّباعاً لتعاليم رسولك وأهل بيته الأطهار.

اللهم زدنا توقيراً وتعزيراً لرسولك وأهل بيته الأطهار.

اللهمّ صلِّ على محمّد رسولك وعلى آله الأطهار وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٣.



ثمرة الجدال بالتي هي أحسن

في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ﴾ نزلت في وفد تميم وهم عطارد بن حاجب بن زرارة في أشراف من بني تميم، منهم الأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم، وقيس بن عاصم في وفد عظيم، فلمّا دخلوا المسجد نادوا رسول اللّه ﷺ من وراء الحجرات أن اخرج إلينا يا محمّد، فآذى ذلك رسول اللّه ﷺ، فخرج إليهم فقالوا: جئناك لنفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا، قال: أذنت، فقام عطارد بن حاجب وقال: الحمد للّه الّذي جعلنا ملوكاً الّذي له الفضل علينا، والّذي وهب لنا أموالاً عظاماً نفعل بها المعروف، وجعلنا أعزّ أهل المشرق، وأكثر عدداً وعدّة، فمن مثلنا في الناس؟فمن فاخرنا فليعد مثل ما عددنا، ولو شئنا لأكثرنا من الكلام، ولكنّا نستحيي من الإكثار.

ثمّ جلس، فقال رسول اللّه ﷺ لثابت بن قيس بن شماس: قم فأجبه، فقام فقال: الحمد للّه الّذي خلق السماوات والأرض خلقة، وقضى فيه أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يكن شيء قطّ إلّا من فضله، ثمّ كان من فضله، أن جعلنا ملوكاً، واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمه نسباً، وأصدقه حديثاً، وأفضله حسباً، فأنزل عليه كتاباً وائتمنه على خلقه، فكان خيرة اللّه على العالمين، ثمّ دعا الناس إلى الإيمان باللّه فآمن به المهاجرون من قومه، وذوو رحمه، أكرم الناس أحساباً، وأحسنهم وجوهاً، فكان أوّل الخلق إجابة، واستجاب للّه حين دعاه رسول اللّه ﷺ، فنحن أنصار رسول اللّه وردؤه، نقاتل الناس حتّى يؤمنوا، فمن آمن باللّه ورسوله منع ماله ودمه، ومن نكث جاهدناه في اللّه أبداً، وكان قتله علينا يسيراً، أقول: هذا وأستغفر اللّه للمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم.

ثــمّ قام الزبرقان بن بدر ينشد وأجابه حسان بن ثابت، فلما فرغ حسان من قوله قال الأقــرع: إنّ هذا الرجل خطيبه أخطب من خطيبنا، وشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواتهــم أعلى من أصواتنا، فلمّا فرغوا أجازهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم وأسلموا[١].

(١) بحار الانوار،ج١٧ ،ص٢١-٢٢.

7

الإساءات المعنويّة إلى النبيّ ﷺ

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ٩٥ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٩٦ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾[1]

---

(١) سورة الحجر، الآيات: ٩٤-٩٩.

تمهيد

الصــراع بين الحقّ والباطل أزليّ، وسيستمرّ حتّى يـأذن الله تعالى بإظهار أمره: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[١]، ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[٢]، فـلا بدّ من مجــيء الحقّ وزهوق الباطـل: ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾[٣]، ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ ﴾[٤].

وهــذا الصــراع المريــر اتخذ أشـكالاً عدّة على مـرّ العصـور، واستخدمت شتّى الطـرق والوسائل في مواجهة الحقّ؛ فقد أُسيء إلــى الأنبياء والرسل والأئمّة عليهم السلام، وأُستُهــزئ بهم وكُذبوا، بـل قُتّلوا وشُرّدوا، قــال تعالى: ﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨١.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

(٥) سورة الزخرف، الآية: ٧.

فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[٢].

وأخبر الله تعالى في كتابه كيف أُسيئ إلى أنبيائه ورسله، ولكنّ الله تعالى ينصر رسله على الكافرين، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾[٤].

ونبيّنا محمّد ﷺ نال النصيب الأكبر من الإساءة والاستهزاء، سواء من المشركين والكافرين، أم من أهل الكتاب، أم من المنافقين والمرتدين، بل حتّى من بعض من يدّعي اتباعه ﷺ والإيمان به، وسواء في حياته أم بعد مماته، حتّى قال ﷺ: «**ما أوذي نبيّ مثل ما أوذيت**»[٥].

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾[٦]، وقال عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾[٧].

فما زالت الإساءات تصدر بحقّ النبيّ ﷺ من كلّ حدب وصوب، ولن تنتهي طالما هناك من يُعادي ويحقد على الإسلام ورسوله الأمين ﷺ وكتابه الكريم، وهذه العداوة قديمة منذ بعثته ﷺ، وقد بيّن الله تعالى في موارد عديدة من كتابه أنواع وأشكال الإساءة والأذيّة له ﷺ، مع بيان عاقبة من استهزأ به ﷺ، فإنّ الله تعالى وعد رسله عموماً ونبيّه الأكرم ﷺ خصوصاً بالانتقام والكفاية ممّن استهزأ به، وهذا غير محصور بحياته ﷺ، بل ماض إلى يوم القيامة،

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٧.
(٢) سورة يس، الآية: ٣٠.
(٣) سورة غافر، الآية: ٥١.
(٤) سورة الصافات، الآية: ١١٦.
(٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٣٩، ص٥٦.
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٣٦.
(٧) سورة الفرقان، الآية: ٤١.

مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[1]، ولقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[2].

ولا يخفى أنّ اللّه تعالى لا ينصر نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم بالغيب فقط، بل بتوسّط التكليف بوجوب النصرة، فلا يصحّ التعذّر بالغيب والسلطنة الإلهيّة، لعدم النصرة على قاعدة أنّ للبيت ربّ يحميه، كما يمكن أن يصدر عن بعض ضعاف النفوس والمتخاذلين عن نصرة دين اللّه تعالى ونبيّه صلى الله عليه وآله وسلم وكتابه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[3]. وقال عزّ وجلّ: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[4]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾[5].

الوسائل الّتي حورب بها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

نشير إلى بعض الإساءات الّتي صدرت من المشركين والمنافقين في حياته صلى الله عليه وآله وسلم، وكيف أنّ اللّه تعالى دافع عن نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، ويمكن تقسيم هذه الإساءات إلى إساءات معنويّة وإلى إساءات ماديّة.

الإساءات المعنوية

١- الاتهام بالسحر والشعوذة

فمن تلك الإساءات اتهامه بالسحر، قال اللّه تعالى في مقام الاحتجاج: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾[6].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٩.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٦) سورة الطور، الآية ١٥.

فـإنّ المشركين أمام قوّة المعجزة رموا النبـيّ ﷺ بالسحر، كما في قصّة نزول سورة القمر، قال تعالـى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾[1].

فعـن الإمام أبي عبـد الله عليه السلام: «**اجتمعوا أربعـة عشر رجلاً أصحـاب العقبة ليلة أربعة عشر من ذي الحجّة، فقالوا للنبيّ ﷺ: ما من نبيّ إلّا وله آية فما آيتك فـي ليلتـك هذه؟ فقال النبـيّ ﷺ ما الّذي تريدون؟ فقالـوا إن يكن لك عند ربّك قـدر فآمـر القمـر أن ينقطـع قطعتين، فهبـط جبرئيل عليه السلام وقال: يـا محمّد إنّ الله يقـرؤك السـلام ويقول لك: إنّي قد أمرت كلّ شيء بطاعتك، فرفع رأسه فأمر القمـر أن ينقطـع قطعتيـن، فانقطـع قطعتين فسجـد النبيّ ﷺ شكـراً لله وسجد شيعتنـا، رفـع النبيّ ﷺ رأسه ورفعوا رؤسهم، ثمّ قالوا يعود كما كان فعاد كما كان، ثـمّ قالـوا ينشـق رأسه فأمـره فانشـقّ فسجد النبـيّ ﷺ شكراً لله وسجـد شيعتنا، فقالـوا يـا محمّـد حين تقـدم سفارنا من الشـام واليمن فنسألهم مـا رأوا في هذه الليلـة فـإنّ يكونـوا رأوا مثل ما رأينـا علمنا أنّه من ربّك وإن لم يـروا مثل ما رأينا علمنا أنّه سحر سحرتنا به، فأنزل الله اقتربت الساعة إلى آخر السورة**»[2].

وقـال تعالـى حكاية عن أحد المشركيـن: ﴿فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ۝٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ﴾[3]، وهذه الآيات «**نزلت في الوليد بن المغيرة وكان شيخاً كبيراً مجرّباً من دهاة العرب، وكان من المستهزئين برسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يقعد فـي الحجـرة ويقـرأ القرآن فاجتمعـت قريش إلـى الوليد بن المغيـرة، فقالوا: يا أبـا عبـد شمـس ما هـذا الّذي يقـول محمّد أشعـر هـو أم كهانة أم خطـب؟! فقال دعوني أسمع كلامه، فدنا من رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد أنشدني من شعرك،**

(١) سورة القمر، الآيتان: ١ و٢.
(٢) تفسير القمي، ج٢، ص٣٤١.
(٣) سورة المدثر، الآيتان: ٢٤ و ٢٥.

قال: ما هو شعر ولكنّه كلام الله الّذي ارتضاه لملائكته وأنبيائه، فقال: أتل عليّ منه شيئاً، فقرأ رسول الله ﷺ حم السجدة فلما بلغ قوله ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ ﴾[١] - يا محمّد - أعني قريشاً - ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾[٢]، قال: فاقشعرّ الوليد وقامت كلّ شعرة في رأسه ولحيته ومرّ إلى بيته ولم يرجع إلى قريش من ذلك، فمشوا إلى أبي جهل فقالوا: يا أبا الحكم إنّ أبا عبد شمس صبا إلى دين محمّد أما تراه لم يرجع الينا، فغدا أبو جهل فقال له: يا عم نكّست رؤوسنا وفضحتنا وأشمت بنا عدونا وصبوت إلى دين محمّد، فقال: ما صبوت إلى دينه ولكنّي سمعت منه كلاماً صعباً تقشعرّ منه الجلود، فقال له أبو جهل: أخطب هو؟، قال: لا إنّ الخطب كلام متّصل وهذا كلام منثور ولا يشبه بعضه بعضاً قال: أفشعر هو؟، قال: لا، أما إنّي قد سمعت أشعار العرب بسيطها ومديدها ورملها ورجزها وما هو بشعر، قال فما هو؟، قال: دعني أفكّر فيه، فلمّا كان من الغد قالوا يا أبا عبد شمس ما تقول فيما قلناه؟، قال: قولوا هو سحر فإنّه أخذ بقلوب الناس»[٣].

٢- الاتهام بالجنون والشعر

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[٤]، قال في الميزان: «رموه ﷺ بالشعر والجنون وفيه رمي لكتاب الله بكونه شعراً ومن هفوات الجنون، فردّعليهم بأنّ ما جاء به حقّ، وفيه تصديق الرسل السابقين فليس بباطل من القول كالشعر وهفوة الجنون وليس ببدع غير مسبوق في معناه»[٥].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ١٣.

(٢) سورة فصلت، الآية: ١٣.

(٣) بحار الأنوار، ج٢، ص٣٩٤.

(٤) سورة الصافات، الآيتان: ٣٦-٣٧.

(٥) سورة التكوير، الآية: ٢٢.

وقـال تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾[(١)]، وفي التعبير عنـه ﷺ بقوله: «**صاحبكم تكذيب لهم في رميهم له بالجنون وتنزيه لساحته - كما قيل - ففيه إيماء إلى أنّه صاحبكم لبث بينكم معاشراً لكم طول عمره، وأنتم أعرف بـه قد وجدتّموه على كمال مـن العقل ورزانة من الـرأي وصدق من القـول، ومن هذه صفتـه لا يُرمى بالجنون**»[(٢)].

وقالـوا عـن كلام الله تعالـى: ﴿بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٌ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ۝٣٠ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ﴾[(٤)]، فأجابهـم الله تعالـى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[(٥)].

٣- الاتهام بالضلال والغواية والنطق عن الهوى

روي عـن أبي عبد الله عليه السلام: «**لمّا أوقف رسـول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام يـوم الغديـر، افتـرق الناس ثـلاث فرق، فقالت فرقـة: ضلّ محمّـد، وفرقة قالت: غوى، وفرقة قالت: بهواه يقول في أهل بيته وابن عمّه، فأنزل الله سبحانه:**

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾[(٦)]»[(٧)].

٤- التعيير بعدم العقب

وممّـا عُيّر نبينا ﷺ به هو عـدم العقب الذكر، ممّا كان يشـكّل نقص في العرف

---

(١) سورة التكوير، الآية:٢٢.
(٢) بحار الأنوار، ج٢٠، ص٢١٨.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٥.
(٤) سورة الطور، الآيتان: ٣٠ و٣١.
(٥) سورة الحاقة، الآيات: ٤٠-٤٣.
(٦) سورة النجم، الآيات: ١-٤.
(٧) تفسير البرهان، ج٥، ص١٨٨.

الجاهليّ، فقد دخل رسول الله ﷺ المسجد وفيه عمرو بن العاص والحكم بن أبي العاص قال عمرو: «**يا أبا الأبتر! وكان الرجل في الجاهليّة إذا لم يكن له ولد سمّي أبتر، ثمّ قال عمرو: إنّي لأشنأ محمّداً أي أبغضه فأنزل الله على رسوله ﷺ** ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ﴾[1] **أي مبغضك عمرو بن العاص** ﴿هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾[2] **يعني لا دين له ولا نسب**»[3].

٥- التكذيب بالرسالة والنبوّة

يقول تعالى: ﴿وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٍ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾[4]، وذلك أنّهم كذّبوا النبيّ ﷺ في رسالته، فتوعّدهم بشتّى ألوان العذاب والخزي.

٦- التعيير بالأتباع

فقد عيّر زعماءُ قريش النبيّ ﷺ بأتباعه، كما عيّر فرعون النبيّ موسى عليه السلام بأتباعه، فقال له: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾[5]، فقال الله تعالى للنبيّ الأكرم ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[6].

٧- إساءة المنافقين

ولعلّ هذا النوع من الإساءة كانت أشدّ على رسول الله ﷺ وعلى أهل بيته

(١) سورة الكوثر، الآيات: ١-٣.
(٢) سورة الكوثر، الآية: ٣.
(٣) تفسير القمّي، ج٢، ص٤٤٥.
(٤) سورة المطففين، الآيات: ١٠-١٧.
(٥) سورة هود، الآية: ٢٧.
(٦) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

والمخلصين من صحابته، لكونهـا تنخر من داخل البيئة الحاضنة للإسلام، فكانوا يثيـرون الفتن وينشرون الشائعات، ويساندون اليهود ويخوّنون النبيّ ﷺ، وقد كشف زيفهم ونفاقهم وأخبر الله عنهم في كتابه في وقائع متعدّدة:

منها أنّهم كانوا ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[1]، وعـن الإمـام الكاظـم عليه السلام: **«فأمّـا استهـزاء الله تعالـى بهم فـي الدنيا فهـو أنّه - مع إجرائـه إيّاهـم علـى ظاهر أحكام المسلميـن، لإظهارهم ما يظهرونـه من السمع والطاعـة، والموافقـة - يأمـر رسـول الله ﷺ بالتعريض لهم حتّـى لا يخفي على المخلصين من المراد بذلك التعريض، ويأمر بلعنهم.**

وأمّـا استهـزاؤه بهـم في الآخرة فهـو أنّ الله عزّ وجلّ إذا أقرّهـم في دار اللعنة والهـوان وعذّبهـم بتلـك الألـوان العجيبة من العـذاب، وأقرّ هـؤلاء المؤمنين في الجنـان بحضرة محمّد ﷺ صفيّ الملك الديّان أطلعهم على هؤلاء المستهزئين الّذيـن كانـوا يستهـزؤن بهم في الدنيـا، حتّى يروا ما هم فيه مـن عجائب اللعائن وبدائـع النقمات، فتكـون لذّتهم وسرورهـم بشماتتهم بهم، كمـا لذّتهم وسرورهم بنعيمهم في جنّات ربّهم»[2].

وكانوا يستهزؤون بكلّ ما يأمر به النبيّ ﷺ: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾[3].

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٤ ـ ١٥.

(٢) تفسير البرهان، ج١، ص١٤٤.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٨.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٦٥.

وكانوا ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، والقائل هو عبد الله بن أبي بن سلول، وكذا قائل الجملة السابقة: ﴿لَا تُنفِقُوا۟﴾[2] الخ، وإنّما عبّر بصيغة الجمع تشريكاً لأصحابه الراضين بقوله معه. ومراده بـ ﴿ٱلْأَعَزُّ﴾[3] نفسه وبـ ﴿ٱلْأَذَلَّ﴾[4] رسول الله ﷺ، ويريد بهذا القول تهديد النبيّ ﷺ بإخراجه من المدينة بعد المراجعة إليها، وقد ردّ الله عليه وعلى من يشاركه في نفاقه بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[5]، فقصر العزّة في نفسه ورسوله والمؤمنين فلا يبقى لغيرهم إلا الذلّة، ونفى عن المنافقين العلم فلم يبق لهم إلّا الذلّة والجهالة[6].

٨- التكذيب بالنصّ على الإمام عليّ عليه السلام

عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾[7]: «**أعداؤه ومن كان يهزأ بأمير المؤمنين وهم الّذين قالوا هذا صفيّ محمّد من بين أهله، وكانوا يتغامزون بأمير المؤمنين فأنزل الله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾[8]»[9].

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٧.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٤) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٥) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٦) الميزان في تفسير القرآن، ج١٩، ص٢٨٢.

(٧) سورة الحجر، الآية: ٩٥.

(٨) سورة الحجر، الآية: ٩٧.

(٩) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر أشوب، ج٣، ص٨.

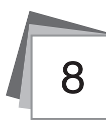


تآمر اليهود على النبيّ ﷺ

عن الأصبغ بن نباتة، عن الإمام عليّ عليه السلام، قال: «إنّ اليهود أتت امرأة منهم يقال لها عبدة، فقالوا: يا عبدة، قد علمت أنّ محمّداً قد هدّ ركن بني إسرائيل، وهدم اليهوديّة، وقد غالى الملا من بني إسرائيل بهذا السمّ له، وهم جاعلون لك جعلاً على أن تسمّيه في هذه الشاة، فعمدت عبدة إلى الشاة فشوتها، ثمّ جمعت الرؤساء في بيتها، وأتت رسول الله ﷺ، فقالت: يا محمّد، قد علمت ما توجب لي [من حقّ الجوار]، وقد حضرني رؤساء اليهود فزيّني بأصحابك. فقام رسول الله ﷺ ومعه الإمام عليّ عليه السلام وأبو دجانة وأبو أيوب وسهل ابن حنيف وجماعة من المهاجرين، فلمّا دخلوا وأخرجت الشاة، سدّت اليهود آنافها بالصوف، وقاموا على أرجلهم وتوكّؤوا على عصيّهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: اقعدوا، فقالوا: إنّا إذا زارنا نبيّ لم يقعد منّا أحد وكرهنا أن يصل إليه من أنفاسنا ما يتأذّى به. وكذبت اليهود عليها لعنة الله، إنّما فعلت ذلك مخافة سورة السمّ ودخّانه، فلمّا وضعت الشاة بين يديه تكلّمت كتفها، فقالت: مه يا محمّد، لا تأكلني فإنّي مسمومة. فدعا رسول الله ﷺ عبدة، فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ فقالت: قلت: إن كان نبيّاً لم يضرّه، وإن كان كاذباً أو ساحراً أرحت قومي منه، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: السلام يقرئك السلام، ويقول: قل بسم الله الّذي يسمّيه به كلّ مؤمن، وبه عزّ كلّ مؤمن، وبنوره الّذي أضاءت به السماوات والأرض، وبقدرته الّتي خضع لها كلّ جبّار عنيد، وانتكس كلّ شيطان مريد من شرّ السمّ والسحر واللمم، باسم العليّ الملك الفرد الّذي لا إله إلّا هو ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[1]. فقال النبيّ ﷺ ذلك، وأمر أصحابه فتكلّموا به، ثمّ قال: كلوا، ثمّ أمرهم أن يحتجموا[2].

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٢٩٥.



الإساءات الماديّة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَاۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(١)

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٦.

تمهيد

بعـد أن تعرّضنا فـي الدرس السابق لبعض الإسـاءات المعنويّة للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم نتعرّض الآن لبعض الإساءات الماديّة، لنستفيد منها الصبر، وكيف أُوذي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وما قدر الأذيّة الّتي نتعرّض لها في جنب ما تعرّض له صلى الله عليه وآله وسلم.

الإساءات الماديّة

١- قتل المسلمين

لمّا عجزت قريش عن مواجهة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ولم تستطع التخلّص منه بسبب حماية أبـي طالـب عليه السلام له، ولم تستطـع الحدّ من عـدد المسلمين، عمدت إلـى التصفية الجسديّة واستئصالهـم ليكونوا عبرةً لغيرهم، فكان أوّل شهيد وشهيدة في الإسلام ياسر وسميّة والدا عمّار الصحابيّ الجليل رضي الله عنهم، ولكنّ الثبات على المبدأ والاستعـداد للتضحية فـي سبيله، أظهر قوّة الإسلام في نفوس المسلمين ممّا جعل المتردّدين يقبلون أكثر نحو هذا الدين الجديد.

٢- الإخراج من مكّة والحصار في شعب أبي طالب عليه السلام

قـال تعالـى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا

﴿يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[١]، فإنّهم عمدوا إلى إخراجه ﷺ والمسلمين من مكّة، ولكن ما لبثوا حتّى قتلوا ببدر[٢]، فإنّ من يلجأ إلى الله في الشدائد لا بدّ أن يأتيه بالفرج.

٣- محاولة القتل

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾[٣]، وذلك عندما شعرت قريش بحجم الخطر فيما لو التحق النبيّ ﷺ بأصحابه، خاصّة بعدما قدَّرت أنّ المدنيّين سيحمونه وينصرونه بعدما بايعوه، فاتخذت قراراً حاسماً بالتخلُّص من النبيّ ﷺ قبل فوات الأوان، واستطاعت أن تنتزع قراراً بمشاركة كلِّ قبائل قريش في عمليّة الاغتيال، من أجل أن يتفرّق دمه في القبائل كلّها؛ فلا يعود بإمكان بني هاشم أن يثأروا لدمه، ولكنّ الله تعالى أخبر رسوله ﷺ بهذه المؤامرة، وأمره بالخروج ليلاً من مكّة وأن يجعل عليّاً عليه السلام مكانه ليبيت على فراشه من أجل التمويه والإيهام، وليردّ كيدهم عليهم، فخرج رسول الله ﷺ إلى غار ثور وبات عليّ عليه السلام على فراشه تلك الليلة. وعندما اقتحم المشركون دار النبيّ ﷺ وجدوا أنفسهم أمام عليّ عليه السلام، ونظراً للتضحية الكبرى الّتي قدّمها الإمام عليّ عليه السلام، أنزل الله تعالى بحقّه قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[٤].

٤- الحرب ضدّه

بعد هجرة النبيّ ﷺ إلى المدينة، أقام نواة دولة، ممّا جعل أمر الإسلام ينتشر بين القبائل العربيّة، بعد أن كان محصوراً في قريش، بسبب التعتيم على الدعوى

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٦.

(٢) تفسير القمّي، ج٢، ص٢٤.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

الحقّـة، فرأى زعمـاء قريش أن لا مناصـ إلّا بقمع الإسلام بقـوة السلاح والحرب، فصار الصراع عسكرياً، ولكنّ اللّه أنزل نصره على نبيّه ﷺ، قال تعالى:

﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾[1]، فحثّ اللّه المؤمنين على قتال الّذين أخرجوهم والرسول ﷺ من بيوتهم، وأن لا يخشونهم، بل يخشون اللّه فإنّه سينصر النبيّ ﷺ على أيديهم.

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2]، فنصرهم اللّه وأنزل سكينته على رسوله ﷺ والمؤمنين، وأنزل الملائكة، فمن ينصر الحقّ ورسول اللّه ﷺ ينصره اللّه ويعذّب الكافرين.

وقال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3]، فاللّه هو الّذي قتل وهو الّذي رمى، وهو الّذي أوهن كيد الكافرين.

٥- محاولة الاغتيال

من الأحداث المُهمَّة الّتي وقعت مع النبيّ ﷺ خلال عودته من تبوك محاولة

(١) سورة التوبة، الآية: ١٣.

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٢٥ ـ ٢٦.

(٣) سورة الأنفال، الآيتان: ١٧ ـ ١٨.

اغتياله، فقد ذكرت المصادر التاريخيّة أنّه حين وصل الجيش الإسلاميّ إلى العقبة بين المدينة والشام قال ﷺ: «**من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنّه أوسع لكم**» فأخذ الناس بطن الوادي وسلك هو طريق العقبة، وكان يقود ناقته عمّار بن ياسر ويسوقها حذيفة بن اليمان، فرأى النبيّ ﷺ في ضوء القمر فرساناً قد تلثّموا ولحقوا به من ورائه في حركةٍ مُريبة فغضب ﷺ وصاح بهم وأمر حذيفة أن يضرب وجوه رواحلهم؛ فتملّكهم الرعب وعرفوا بأنّ النبيّ ﷺ قد علم بما أضمرته نفوسهم بمؤامرتهم، فأسرعوا تاركين العقبة ليُخالِطوا الناس ولا تنكشف هويّتهم.

وطلب حذيفة من الرسول ﷺ أن يبعث إليهم من يقتلهم بعدما عرفهم من رواحلهم، ولكنّ رسول الرحمة عفا عنهم وأوكل أمرهم إلى الله تعالى[1].

هذا سرد مختصر لما تحمّله قلب نبيّنا أرواحنا فداه من أذى وإساءات، ولم نذكر مثلاً أذى اليهود واستهزاءهم بالنبيّ ﷺ من التشكيك به ومحاولة تعجيزه، وتحريض المشركين عليه والتجسّس عليه لصالحهم، وإثارة الفتن بين المسلمين، وتآمرهم على حياة النبيّ ﷺ مراراً، ونقض العهود والمواثيق الّتي أبرموها معه ﷺ.

ولو أردنا حصرها لاستوعبت مجلّدات، فإنّه حتّى آخر عمره الشريف شهد أقسى الإساءات، من عصيان أمره ﷺ بتجهيز جيش أسامة، والحيلولة دون كتابة الوصية، والتنازع عنده واتهامه في عقله، وغير ذلك.

الخاتمة

لقد كشف لنا التاريخ أنّ مخالفي رسول الله ﷺ الّذين استهزأوا به وأساءوا إليه، ما كان لهم حجّة بل حجّتهم داحضة، وفي يومنا هذا واستمراراً لإساءات واستهزاء المشركين، يتابع الغربيون هذه المعركة.

فقد عرفوا أنّ الإسلام يملك من قوّة الحجّة، بمعجزته الخالدة القرآن الكريم

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٢١، ص٢٤٧.

الّـذي أعجز الناس على أن يأتـوا بمثله ماضياً وحاضراً، وبرسوله الأعظم ﷺ الّذي لا ينكر نوره وعظمته.

فلـم يبق لهـم في مواجهـة الإسـلام ورسوله ﷺ وكتابـه، سوى السـبّ والشتم والإساءة، برسوم وأفلام وغير ذلك، وما أساليبهم هذه إلّا لضعف حجّتهم ومنطقهم، فالضعيـف هـو من يلجأ إلـى هذه الأساليـب الّتي تؤكّـد ضعف وضحالـة مرتكزات حضارتهـم الماديّة، وهذا أذان بسقوط حضارتهم، وقرب زوالهم وهلاكهم، فإنّه ما تجرّأ قوم على الله واستهزؤوا بأنبيائه عليهم السلام إلّا انتقم الله منهم.

قـال تعالـى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾[4].

عسـى أن يبصّرنا الله سبحانه وتعالى زوالهم وفناءهم بما آذوا رسوله ﷺ وأمّة رسوله، وبما تجرّؤوا على الله سبحانه وعلى نبيّه ﷺ.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٢.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٠٦.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٧.



إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِين

قوله عزّ وجلّ: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾[1] فإنّها نزلت بمكّة بعد أن نُبّأ رسول الله ﷺ بثلاث سنين، وذلك أنّ النبوّة نزلت على رسول الله ﷺ يوم الإثنين وأسلم عليّ عليه السلام يوم الثلاثاء ثمّ أسلمت خديجة بنت خويلد زوجة النبيّ ﷺ، ثمّ دخل أبو طالب إلى النبيّ ﷺ وهو يصلّي وعليّ عليه السلام بجنبه، وكان مع أبي طالب ﷺ جعفر فقال له أبو طالب: صلِّ جناح ابن عمّك فوقف جعفر على يسار رسول الله ﷺ فبدر رسول الله ﷺ من بينهما فكان رسول الله ﷺ يصلّي وعليّ وجعفر وزيد بن حارثة و خديجة يأتمّون به فلمّا أتى لذلك ثلاث سنين أنزل الله عليه ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾برسول الله ﷺ خمسة الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب [المطلب] والأسود بن عبد يغوث والحرث بن طلاطلة الخزاعي.

أمّا الوليد فكان رسول الله ﷺ دعا عليه لما كان يبلغه من إيذائه واستهزائه فقال: «**اللّهم أعم بصره وأثكله بولده**»، فعمي بصره وقتل ولده ببدر [وكذلك دعا على الأسود بن يغوث والحارث بن طلاطلة] فمر الوليد بن المغيرة برسول الله ﷺ و معه جبرئيل عليه السلام فقال جبرئيل: «**يا محمّد هذا الوليد بن المغيرة وهو من المستهزءين بك**».

قال: «**نعم**»، وقد كان مرّ برجل من خزاعة وهو يريش نبالاً له فوطأ على بعضها فأصاب عقبه قطعة من ذلك فدميت، فلمّا مرّ بجبرئيل أشار إلى ذلك الموضع فرجع الوليد إلى منزله ونام على سريره وكانت ابنته نائمة أسفل منه فانفجر الموضع الّذي

---

(١) سورة الحجر، الآيتان: ٩٤ و ٩٥.

أشار إليه جبرئيل أسفل عقبه فسال منه الدم حتّى صار إلى فراش ابنته فانتبهت فقالت الجارية انحل وكاء القربة، قال: ما هذا وكاء القربة ولكنّه دم أبيك فاجمعي لي ولدي و ولد أخي فإنّي ميّت، فجمعتهم فقال لعبد اللّه بن أبي ربيعة:

إنّ عمارة بن الوليد بأرض الحبشة بدار مضيعة فخذ كتاباً من محمّد إلى النجاشي أن يردّه ثمّ قال لابنه هاشم و هو أصغر أولاده: يا بنيّ أوصيك بخمس خصال فاحفظها: بقتل أبي درهم الدوسي فإنّه غلبني على امرأتي وهي بنته ولو تركها وبعلها كانت تلد لي ابناً مثلك، و دمي في خزاعة وما تعمدوا قتلي وأخاف أن تنسوا بعدي، ودمي في بني خزيمة بن عامر و دياتي [رثاثي ودياني] في ثقيف فخذه، ولأسقف نجران عليّ مائتا دينار فاقضها، ثمّ فاضت نفسه، ومرّ ربيعة بن الأسود برسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فأشار جبرئيل إلى بصره فعمي ومات، ومرّ به الأسود بن عبد يغوث فأشار جبرئيل إلى بطنه فلم يزل يستسقي حتّى انشقّ بطنه، ومرّ العاص بن وائل فأشار جبرئيل إلى رجليه فدخل عود في أخمص قدمه وخرج من ظاهره ومات، ومرّ به الحارث بن طلاطلة فأشار جبرئيل إلى وجهه فخرج إلى جبال تهامة فأصابته من السماء ديم استسقى حتّى انشقّ بطنه، وهو قول اللّه ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[1].[2]

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٥.

(٢) تفسير القميّ، ج١، ص٣٨٠.



دفاعٌ عن النبيّ ﷺ

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[١]

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[٢]

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

تمهيد

عندما نتأمّل في العرف القائم بين الناس ومقدّساتهم وفي مختلف المجتمعات نجد بأنّ الجميع يرفضون التدخّل أو المسّ بمقدّساتهم أيّاً كانت هذه المقدّسات عظيمة أو وضيعة بنظر الآخرين، لأنّها تُمثّل الكيان المعنويّ والإيمانيّ لهم، وهذا ما يُبرّر تعظيمها واحترامها والدفاع عنها حتّى الموت وإن كانت شيئاً بسيطاً أو تمثالاً من الخشب أو الحجر أو الخ...

والقدس والقداسة والتقديس في اللغة والكتاب والاستعمال العرفيّ بمعنى التطهير، والتنزيه عن النقص والعيب، فقد ورد في اللغة العربيّة:

قَدُسَ قدْساً وقُدُساً طَهُر وتبارك، وتقدّس أي تطهّر، والقداسة الطهارة، يقال: قدّس الله فلاناً: طهّره وبارك عليه، والقدوس من أسماء الله الحسنى، أي المنزّه عن كلّ نقص وعيب...، والتقديس: التطهير الإلهيّ الوارد في قوله تعالى:

﴿وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾[1].

وقد ورد في الكتاب العزيز ما يؤكّد هذا المعنى، قال تعالى ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ...﴾[2].

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢١.

وقــال تعالــى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ...﴾[١]، أي نطهّــر الأشيــاء ارتساماً لك، وقيل نقدّسك، أي نصفك بالتقديس[٢].

المقدّسات في الإسلام والشرائع السماويّة

وتشتــرك الشرائع السماويّة في أصولها ومبانيها، وتتّفق على قداسة هذه الأصول وحرمتها ووجوب الدفاع عنهــا، ولمّا كانت الرسالة الإسلاميّة هي خاتمة الرسالات، والنبــيّ محمّد ﷺ هو سيّد الرسل وخاتمهم، سنكتفي بتحديد المقدّسات من خلال مــا جاء فــي الشريعة الإسلاميّة وينبغــي الالتفات إلى أنّ المقدّســات لا تنحصر في الأصول دائماً، بل قد يكون المسُّ ببعض الفروع أحياناً هتكاً للمقدّسات.

ويمكن تصنيف المقدّسات في الإسلام إلى الأصناف التالية:

١- **قداســة الإلــه (الله تعالــى)**: فيمــا يتعلّــق بذاتــه وتوحيده سبحانــه وصفاته وعدله... الخ.

قــال تعالــى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣].

والآيات والروايات والمصنفات كثيرة ومفصّلة في هذا المجال.

٢- **قداســة الشريعة والدِّين**: بمعنى قداسة وخصوصيّة الدِّين الإسلامي بكلّيته وكيانه الكامل، وأنّه دين إلهيّ من عند الله تعالى.

قــال الله تعالــى: ﴿... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ....﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ..﴾[٥].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني.

(٣) سورة الحشر،الآية: ٢٣.

(٤) م.ن، الآية: ٣.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١٩.

٣- قداسة القرآن الكريم وأنّه كلام الله الموحى إلى نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم : قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[١]. ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[٢]. ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[٣].

٤- قداسة الوحي والرسل والأنبياء والأئمّة عليهم السلام : فالوحي واسطة بين الله ورسله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾[٤]. ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[٥].

والأنبياء والرسل عليهم السلام يُمثّلون النبوّة الّتي هي سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عباده وقد بعثهم الله تعالى لهداية البشريّة وتعليمها. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿... فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ...﴾[٧].

قدسيّة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

ونشير فيما يلي إلى بعض نواحي قدسيّة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم :

رسول الله خير لنا في حياته ومماته

فقد ورد عن الإمام أبي جعفر عليه السلام : «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مقامي بين أظهركم**

(١) سورة البقرة، الآية: ٢.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩.
(٣) سورة الحجر، الآية: ٨٧.
(٤) سورة فصّلت، الآية: ٦.
(٥) سورة الأحقاف، الآية: ٩.
(٦) سورة الحديد، الآية: ٢٥.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

خيرٌ لكم، فإنّ الله يقول: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[١]**، ومفارقتي إيّاكم خيرٌ لكم. فقالوا يا رسول الله، مقامك بين أظهرنا خيرٌ لنا، فكيف تكون مفارقتك خيراً لنا؟ قال: أمّا أنّ مفارقتي إيّاكم خيرٌ لكم، فإنّ أعمالكم تُعرض عليّ كلّ خميس وإثنين، فما كان من حسنة حمدتُ الله عليها، وما كان من سيّئةٍ استغفرت الله لكم»**[٢] .

طهارة مولده ﷺ

قال الشيخ الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[٣]: ومعناه وتقلُّبك في أصلاب الموحّدين من نبيّ إلى نبيّ حتّى أخرجك نبيّاً... وهو المرويّ عن الإمام أبي جعفر والإمام أبي عبد الله عليه السلام قالا: **«في أصلاب النبيّين، نبيّ بعد نبيّ حتّى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم عليه السلام**[٤]**»**.

علاقته بالله تعالى

١- عبادة رسول الله ﷺ

عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: **«وكان رسول الله ﷺ يقوم على أطراف أصابع رجليه فأنزل الله سبحانه وتعالى:** ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾[٥]**»**[٦] .

وقد تجلّت عبوديّته في قوله وسلوكه حتّى قال: **«قرّة عيني في الصلاة»**[٧] ، وكان ينتظر وقت الصلاة ويشتدُّ شوقه للوقوف بين يدي الله تعالى، وكان كثير الدعاء، حتّى قال **«الدعاء مخ العبادة»**[٨] .

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٢) القمّي، ج١، ص ٢٧٦.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢١٩.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١٩، ص١٨٩.

(٥) سورة طه، الآيتان: ١-٢.

(٦) الكافي، ج٢، ص٩٥.

(٧) أمالي الطوسي، الشيخ الطوسي، ج ٢، ص ١٤١.

(٨) المحجّة البيضاء، الفيض الكاشاني، ج٢، ص ٢٨٢.

وعن أبي جعفر عليه السلام: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند عائشة ليلتها، فقالت: يا رسول الله، لِمَ تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ فقال: يا عائشة ألا أكون عبداً شكوراً**»[١].

٢- خوفه من الله تعالى

عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «**ما كان شيء أحبّ إلى رسول الله من أن يظلّ خائفاً جائعاً في الله عزّ وجلّ**»[٢].

هدف بعثته ورسالته

الرحمة بالبشر والتزكية والتربية لهم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ...﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[٤].

الأسوة الحسنة وصاحب الخلق العظيم

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾[٥]. ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾[٦].

خاتم الرسل

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾[٧]. وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للإمام عليّ عليه السلام: «**أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي**».

(١) الكافي، ج٢، ص ٩٥.
(٢) الكافي، ج٨، ص١٦٣ح١٧١.
(٣) سورة الجمعة، الآية: ٢.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
(٦) سورة القلم، الآية: ٤.
(٧) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

تخصيصه بالإسراء والمعراج

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾[١].

الأمر الإلهيّ بوجوب طاعته واحترامه

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ....﴾[٢].

قربه من الله تعالى

عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «**لمّا عُرج برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انتهى به جبرائيل إلى مكان فخلّى عنه، فقال له: يا جبرائيل تخلّيني على هذه الحالة؟ فقال: امضِ، فوالله لقد وطئت مكاناً ما وطئه بشرٌ، وما مشى فيه بشر قبلك**»[٣].

قبس من سلوكه وصفاته الشخصيّة

أ-زهده بالدنيا:

عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «**مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعليه دين**»[٤].

وفي الخبر عنه عليه السلام: «**وإنّ درعه - عند وفاته- مرهونة عند يهودي من يهود المدينة بعشرين صاعاً من شعير استلفها نفقة لأهله**»[٥].

ب-تواضعه:

عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأكل أكل العبد، ويجلس جلسة العبد، ويعلم أنّه عبد**»[٦].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٣) الكافي، ج١، ص٤٤٢، ح١٢.

(٤) بحار الأنوار، ج١٦، ص ٢٧٥، ح١١١.

(٥) البحار، ج١٦، ص ٢١٩، ح٨.

(٦) انظر: الكافي، ج٦، ص ٢٧٢، ح٣.

ورُوي أنّ رجـلاً كلّم النبيّ ﷺ فأرعد، فقال: «**هَوّن عليك فإنّي لستُ بملِك إنّما أنا ابن امرأةٍ من قريش تأكل القديد**»[١].

ج- علاقته بأصحابه:

قـال تعالـى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢]. وعن الإمـام أبي عبد الله عليه السلام قال: «**كان رسول الله ﷺ يُقسّم لحظاته بين أصحابه، فينظر إلى ذا وينظر إلى ذا بالسويّة؛ وقال: ولم يبسط رسول الله رجليه بين أصحابه قطّ، وإن كان ليصافحه الرّجل فما يترك رسول الله ﷺ يده من يده حتّى يكون هو التارك...**»[٣].

د- الجود والحلم:

قـال تعالـى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٤].

وقـد روي أنّه ما سُئل النبيّ ﷺ شيئـاً قطّ فقال لا، وأنّه عفا عن قريش الّتي عتت أمـر ربّها وحاربته بكلّ ما لديها، وهو فـي ذروة القدرة قائلاً لهم: «**اللّهم اهدِ قومي فإنّهم لا يعلمون... اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[٥].

و- شجاعته:

إذا أردنـا أن نكوّن فكـرة واضحة عن مدى شجاعة رسـول الله ﷺ فلنستمع إلى شهـادة أميـر المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو يصف شجاعة رسول الله ﷺ حيث يقول: «**لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبيّ ﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشدّ الناس يومئذٍ بأساً**»[٦].

---

(١) كنز العمال، المتّقي الهندي، ج٦، ص٨٨

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣) الكافي، ج٢، ص٦٧١.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٥) محمّد في القرآن، ص٦٠-٦٥.

(٦) كنز العمال، ج١٠، ص٣٩٧.

وقال عليه السلام أيضاً: «**كنّا إذا احمرّ البأس ولقي القوم القوم، إتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه**»[١].

وروي عن الامام الصادق عليه السلام: «**أغار المشركون على سرح المدينة فنادى فيها منادٍ: يا سوء صاحباه! فسمعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجبل فركب في طلب العدو وكان أوّل أصحابه، لحقه أبو قتادة على فرس له وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرج دفّتاه ليف ليس فيه أشر ولا بطر، فطلب العدو فلم يلقوا أحداً**»[٢].

ولمّا انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحُد، أدركه أبي بن خلف الجمحي وهو يقول: لا نجوت إن نجوت، فقال القوم: يا رسول الله ألا يعطف عليه رجل منا؟ فقال: دعوه، حتّى إذا دنا منه، وكان أبّي قبل ذلك يلقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول: عندي رمكة أعلفها كلّ يوم فرق ذرة أقتلك عليها.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بل أنا أقتلك إن شاء الله، فلمّا كان يوم أُحُد ودنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحربة من الحارث بن الصمّه ثمّ استقبله فطعنه في عنقه فخدش خدشة، فتدهده عن فرسه وهو يخور خوار الثور وهو يقول: قتلني محمّد، فاحتمله أصحابه وقالوا: ليس عليك بأس. فقال: بلى. لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلهم، أليس قال لي: أقتلك؟ لو بزق عليّ بعد تلك المقالة لقتلني، فلم يلبث يوماً حتّى مات»[٣].

وعن أنس بن مالك قال: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشجع الناس وأحسن الناس وأجود الناس. قال: لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق الناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد سبقهم، وهو يقول: لم تراعوا، وهو على فرس لأبي طلحة وفي عنقه السيف، فجعل يقول للناس: لم تراعوا، وجدناه بحراً أو أنه لبحر**»[٤].

---

(١) نهج البلاغة، السيّد الرضيّ، ج٤، ص٦١.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٩، ص١٧١.

(٣) م.ن، ج٢٠، ص٢٦.

(٤) مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسي، ص١٩.

ما هو واجب المسلمين تجاه مقدّساتهم

أجمع فقهاء الإسلام على وجوب الدفاع عن بيضة الإسلام، بل إنّ فلسفة تشريع الجهاد في الشريعة الإسلاميّة قائمة على مبدأ الدفاع عن الشريعة وحفظ مقدّساتها وكيانها من كلّ ما يهدّده بالخطر أو التشويه ونحوه، ولهذا:

أ- يجب على المسلمين أنفسهم المحافظة على كلّ مقدّساتهم بالقول والعمل الدؤوب والدائم، وعدم الإساءة إليها من خلال عدم الإساءة إلى مقدّسات الآخرين وخصوصيّاتهم، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1].

ب- يجب مواجهة كلّ من يمسّ المقدّسات الإسلاميّة أيّاً كان موقعه أو الجهة الّتي ينتمي إليها ضمن الضوابط الشرعيّة.

ج- يجب تنويع وسائل المواجهة والردع، من ثقافيّة، إعلاميّة، سياسيّة، قانونيّة، إداريّة، اقتصاديّة، إلى حدّ الجهاد والشهادة.

د- يجب تربية مجتمعاتنا على احترام المقدّسات، والسعي الدائم لنقل هذه الثقافة إلى الآخرين.

إنّ المسّ بالنبيّ الأكرم ﷺ وتصويره بالرسوم الكاريكاتوريّة المهينة، فيه إساءة لكلّ الأديان السماويّة والأنبياء والكتب المقدّسة، فضلاً عن الإساءة إلى مليار وأربعمائة مليون مسلم في العالم.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.



خصائص النبيّ ﷺ في القرآن الكريم (٢)

(تقدّمت الإشارة إلى بعض خصائص النبيّ ﷺ في الدّرس الأوّل ص ١٨)

١ – عطاؤه مقرون بعطاء الله تعالى. قال سبحانه: ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾[١].

٢ – ودعوته مقرونة بدعوة الله سبحانه قال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾[٢].

٣ – و وعده مقرون بوعد الله جلّ جلاله: قال تعالى: ﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾[٣].

٤ – و قضاؤه مقرون بقضائه تعالى. قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٤].

٥ – و توقيره مقرون بالإيمان بالله تعالى. قال سبحانه: ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٥].

٦ – و الحيف منفي عنه و عن الله عزّ و جلّ. قال تعالى: ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾[٦].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٩.
(٢) سورة النور، الآية: ٤٨.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢٢.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.
(٥) سورة الفتح، الآية: ٩.
(٦) سورة النور، الآية: ٥٠.

٧ – و هـو الّذي أرسله الله سبحانـه : ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[١].

٨ – و هو صلى الله عليه وآله وسلم أولـى بالنبيّ إبراهيـم الخليل عليه السلام. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٢].

٩ – و هـو الّـذي يؤمن بالله سبحانه و كلماتـه، قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾[٣].

١٠ – و هـو النبـيّ الأمـيّ، كما دلّت عليه نفس الآية الكريمة. و هـذا الوصف إمّا بمعنـى أنّـه من أمّ القرى و هـي مكّة المكّرمة. أو بمعنى أنّـه لا يعرف القراءة و الكتابـة ظاهـراً و إن كان يعرفهـا بعلم النبوّة. و ذلك قطعـاً لإرجاف الكفّار والمنافقين في دعوته صلى الله عليه وآله وسلم. أمّا أنّه لم يكتب قبل البعثة حرفاً، فهذا أكيد، و دلّ عليه القرآن الكريم: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[٤].

و هي دالة على نفي القراءة أيضاً.

١١ – وهو صلى الله عليه وآله وسلم المرسل بالحق. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[٥].

١٢ – و هو صلى الله عليه وآله وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم قال تعالى:

﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ﴾[٦].

---

(١) سورة الصف، الآية: ٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١١٩.

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

١٣ – أزواجه أمّهات المؤمنين. قال تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ﴾[١].

١٤ – و هـو خاتم النبيّين. قال تعالـى : ﴿وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ﴾[٢]، وهـو بمعنـى أنّه ﷺ خيرهم و أنّـه لا نبيّ بعده. كما ورد عنـه ﷺ و أمّا بمعنى أنّه المسيطر علـى الأنبياء جميعاً، كسيطرة الخاتم على الإصبع وإحاطته به. بمعنى أن دعوته ﷺ شاملة لهم جميعاً.

١٥ – إنّ الشرائع السابقة و إن اختلفت عن شريعة الإسلام بالتفاصيل، إلّا أنّها لا تختلـف عنها بالمضمون و الجوهر. فشريعة الإسلام، الّتي جاء بها النبيّ ﷺ شاملة للبشر أجمعين حتّى قبل البعثة.

قـال تعالـى: ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[٣].

و قال تعالى : ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا﴾[٤].

و قال سبحانه: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٥].

و قال جلّ و علا : ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ﴾[٦]: ﴿ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[٧].

و كذلك الحال في الجنّ. قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ﴾[٨].

١٦ – و هذا يدلّ على أنّ شريعته عامّة للأنس و الجنّ معاً.

١٧ – و هو الّذي بشّر به النبيّ عيسى ابن مريم عليه السلام. قال تعالى على لسانه

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.

(٤) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٣٦.

(٦) سورة المائدة، الآية: ١١١.

(٧) سورة المائدة، الآية: ١١١.

(٨) سورة الجن، الآية: ١٤.

﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[١].

١٨ - و هو الّذي كان يعلم ببعثته علماء بني إسرائيل. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[٢].

١٩ - و لم يعلمه الله عزّ و جلّ الشعر لما فيه من خلّة و نقص في مقامه. قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾[٣].

٢٠ - و تدلّنا هذه الآية على أنّه ﷺ عبد الله عزّ و جلّ. و هذا من أعظم صفاته ومكرّر في القرآن الكريم. وفي الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ الله اختار محمّداً عبدا قبل أن يتخذه رسولاً»[٤].

(١) سورة الصف، الآية: ٦.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٩٧.

(٣) سورة يس، الآية: ٦٩.

(٤) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج٧، ص٢٨٩.

10

الغضب الرساليّ

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]

(١) سورة الأعراف، الآية:١٥٠.

تمهيد

حالـة الغضـب الّتـي تنتـاب الإنسـان لأسباب متعـدّدة وتظهـر أيضاً فـي بعض الحيوانـات، هي قوّة غريزيّة إلهيّـة أودعها الله سبحانه وتعالـى لأسباب عدّة، منها الدفاع عن النـوع البشريّ ومنها الدفاع عن الممتلـكات الخاصّة والعامّة والكرامات والأعراض والمعتقدات والدِّين و... ولكن قد يغضب الإنسان لأمورٍ لا ينبغي الغضب لأجلهـا، وبالعكـس أيضاً قد لا يغضب لأمـورٍ ينبغي الغضب لها، مـن هنا كان هناك غضب ممدوح وغضب مذموم، وكان حريّ بالإنسان المؤمن الواعي أن يُميّز بين أنواع الغضـب، وأن يغضب في مـوارد الغضب لا غير. وفي هذا المقـام نريد الحديث عن الغضب الرساليّ، والغضب لله في موارد ينبغي الغضب لها ويُمدح ويثاب عليه، بينما نجد الكثير من الناس لا يغضبون لذلك.

الغضب الرساليّ

إنّ الغضـب الشخصـيّ مرفوض فـي الخلق الإسلامـي.. أمّا الغضـب الرساليّ، كالغضـب لمحـارم الله تعالـى إذا انتُهكت، ولديـن الله إذ حُـرّف، وللمعتقدات إذا أُهينـت، ولرسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا استُهزأ به، فـإنّ كلّ ذلك من الأمـور الّتي يُربّي عليه الإسـلام العزيز، وهو نتيجة طبيعية للقيـم الرسالية في الشخصيّة الإسلامية. وإذا

ما وجدنا أنفسنا أحياناً لا نشعر بالإنكار القلبيّ للمنكَر والغضب عليه، فهذا يعني أنّ علينا أن نشحذ قوانا الانفعالية ونُنشئها على الإسلام من جديد.

في الخبر عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام: «**إنّ الله بعث ملكين إلى أهل مدينة ليقلباها على أهلها، فلمّا انتهيا إلى المدينة، وجدا فيها رجلاً يدعو ويتضرّع.. إلى أن قال: فعاد أحدهما إلى الله فقال: يا ربّ إنّي انتهيت إلى المدينة، فوجدت عبدك فلاناً يدعوك، ويتضرّع إليك، فقال امضِ كما أمرتك به فإنّ ذا رجل لم يتمعّر - أي يبدي - وجهه غيظاً لي قطّ**»[1].

وعن الإمام أبي جعفر عليه السلام أوحى الله إلى شعيب النبيّ عليه السلام: «**إنّي معذّب من قومك مئة ألف: أربعين الفاً من شرارهم وستّين ألفاً من خيارهم. فقال: يا ربّ هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: داهنوا أهل المعاصي، ولم يغضبوا لغضبي**»[2].

وعن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام قال: «**قال موسى بن عمران: يا ربّ من أولئك الّذين تُظلّهم في ظلّ عرشك يوم لا ظلّ إلّا ظلّك؟ فأوحى الله إليه: الطاهرة قلوبهم والبريّة أيديهم الّذين يذكرون جلالي ذكر آبائهم، إلى أن قال: والّذين يغضبون لمحارمي إذا استُحلّت مثل النمر إذا جُرح**»[3].

غير أنّ هذا الغضب الرسالي يجب أن لا يخرج عمليّاً عن حدود الرسالة نفسها، وكثيراً ما لا يكون التصرّف الغاضب منسجماً مع مقاييس الرسالة وموافقاً لأحكامها، والجهاز الحاكم في الشخصيّة هو العقل والشرع اللّذان يُحدّدان الموقف الّذي يستلزمه المنطق الدِّيني، وليس العواطف والانفعالات.

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج١٦، ص١٤٤.

(٢) م.ن، ج١٦، ص١٤٦.

(٣) م.ن، ج١٦، ص١٤٧.

متى نغضب؟

يحتاج المؤمن في ميدان العمل أكثر من غيره إلى إرادة حازمة وشخصية مستقلّة عن الأحداث والإثارات، فيجب أن لا يردّ إذا جُهل عليه، ولا يثور إذا استُثير وإنّما يكون حكيماً متعقّلاً باستمرار، وفي كلّ مجال.

قال الإمام أبو جعفر عليه السلام:

«في حكمة آل داود ينبغي للمسلم أن يكون مالكاً لنفسه مقبلاً على شأنه عارفاً بأهل زمانه، فاتّقوا الله، ولا تذيعوا حديثنا»[1].

وعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام:

«كظم الغيظ عن العدوّ في دَولاتهم تقية حزم (الحزم ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة) لمن أَخَذَ به، وتحرّزٌ من التعرّض للبلاء في الدنيا، ومعاندةُ الأعداءِ في دولاتهم ومحاظّتهم في غير تقيّة تركُ أمر الله. فجاملوا الناس يُسمن لكم عندهم، ولا تعادوهم فتحملوهم على رقابكم فتذلّوا»[2].

وليس كظم الغيظ والغضب عن العدوّ أمامه فقط، وإنّما في كلّ أمر تقتضي فيه مصلحة الرسالة الكفّ وعدم الغضب.

ذو النون أو صاحب الحوت

لقد سجّل اللّه تعالى لنبيّه الكريم في القرآن قصّة النبيّ ذي النون يونس عليه السلام:

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[3].

(١) وسائل الشيعة، م.س، ج١٦، ص٢٤٧.

(٢) أصول الكافي، الكليني، ج ٢، ص١١٩.

(٣) سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٧ـ٨٨.

خلاصة القصّة

كان عليه السلام - على ما في الروايات - قد سأل ربّه أن يُنزل على قومه العذاب فأجابه تعالى إلى ذلك فأخبرهم به فلمّا أشرف عليهم العذاب بالنزول تابوا إلى ربّهم فرُفع عنهم العذاب، وكان النبيّ يونس عليه السلام قد ترك قومه، وذهب لوجهه حتّى ركب السفينة فاعترضها حوت، فساهمهم في أن يدفعوا الحوت بإلقاء رجل منهم إليه ليلتقمه وينصرف عن الباقين، فخرجت القرعة باسمه فألقي في البحر فالتقمه الحوت فكان يُسبّح الله في بطنه إلى أن أمره الله أن يلقيه إلى ساحل البحر، وقد قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[١]. ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢]، ولم يكن ذلك كلّه إلّا لكي يريه الله سبحانه أنّه قادر على أن يقبض عليه ويحبسه حيث شاء، وأن يصنع به ما شاء، فلا مهرب من الله سبحانه إلّا إليه، ولذلك لقّنه الحال الّذي تمثّل له وهو في سجنه من بطن الحوت، أن يقرّ لله بأنّه هو المعبود الّذي لا معبود غيره، ولا مهرب عن عبوديته فقال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾[٣]. ثمّ ذكر ما جرى عليه الحال من تركه قومه إثر عدم إهلاكه تعالى إيّاهم بما أنزل عليهم من العذاب فأثبت الظلم لنفسه ونزّه الله سبحانه عن كلّ ما فيه شائبة الظلم والنقص فقال:

﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤]. ولم يذكر مسألته - وهي الرجوع إلى مقامه العبودي السابق - عدا لنفسه دون لياقة الاستعطاء واستحقاق العطاء استغراقاً في الحياء والخجل، والدليل على مسألته قوله تعالى بعد الآية السابقة:

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾[٥].

---

(١) سورة الصافات، الآيتان: ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٨٨.

والدليل على أن مسألته كانت هي الرجوع إلى سابق مقامه قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝١٤٥ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۝١٤٦ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝١٤٧ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[١]،[٢].

إنّه من السهل على صاحب الدعوة أن يغضب لأجل أنّ الناس لا يستجيبون لدعوته فيهجر الناس.. إنّه عمل مريح قد يُفتِّر الغضب ويهدّىء الأعصاب، ولكن أين هي الدعوة؟ وما الّذي عاد عليها من هجران المكذّبين المعارضين؟

إنّ الدعوة هي الأصل لا شخص الداعية! فعلى الداعية أن يكظم الغيظ ويمضي في الدعوة. وخير له أن يصبر فلا يضيق صدره بما يقولون.

إنّ الداعية أداة في يد القدرة الإلهية، والله أرعى لدعوته وأحفظ، فليؤدِّ هو واجبه في كلّ ظرف وفي كلّ جوّ، فعليه التكليف لا غير، والثمرة والنتاج والهدى ومتى يكون النجاح فعلى الله سبحانه.

وفي قضية ذي النون درسٌ لأصحاب الدعوات ينبغي أن يتأمّلوه، وإنّ في رجعة ذي النون إلى ربّه واعترافه بظلمه ـ الّذي هو ترك الأولى والأنسب ـ لعبرة لأصحاب الدعوات ينبغي أن يتدبّروها، وإنّ في رحمة الله لذي النون واستجابة دعائه المنيب في الظلمات بشرى للمؤمنين: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

غضب النبيّ موسى عليه السلام

أمّا غضب النبيّ موسى عليه السلام فما حكاه الله سبحانه عنه عليه السلام: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤].

---

(١) سورة الصافات، الآيات: ١٤٥ – ١٤٨.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، العلّامة الطباطبائي، ج٦، ص ٢٨٧ بتصرّف.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٨٨.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

وفي شرح هذه الآية يقول صاحب تفسير الميزان

فمعنى الآية: ولمّا رجع موسى إلى قومه وهو في حال غضبٍ وأسف لِما أخبره الله تعالى لدى الرجوع بأنّ قومه ضلّوا بعبادة العجل بعده، فوبّخهم وذمّهم بما صنعوا وقال: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِيٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾[١] وطلبتموه قبل بلوغ أجله، وهو أمر [الله سبحانه] من بيده خيركم وصلاحكم، ولا يجري أمراً إلّا على ما يقتضيه حكمته البالغة، ولا يؤثّر فيه عجلة غيره ولا طلبة ولا رضاه إلّا بما شاء. والظاهر أنّ المراد بأمر ربّهم أمره الّذي لأجله واعد موسى عليه السلام لميقاته، وهو نزول التوراة...

وبالجملة اشتدّ غضب موسى عليه السلام لمّا شاهد قومه ووبّخهم وذمّهم بقوله: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِيٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾[٢] وهو استفهام إنكاري - ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾[٣] وهي ألواح التوراة ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾[٤] قابضاً على شعره يجرّه إليه وقد قال له - فيما حكى الله في سورة طه: ﴿يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾[٥]؟ قال هارون ﴿ابْنَ أُمَّ﴾[٦] وإنّما خاطبه بذكر أمّهما دون أن يقول: يا أخي أو يا ابن أبي؛ للترقيق وتهييج الرحمة: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾[٧] لمّا خالفتهم في أمر العجل ومنعتهم عن عبادته: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٨] بحسباني كأحدهم في مخالفتك.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

وكان ممّا قال له – على ما حكاه الله في سورة طه: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾(١). وظاهر سياق الآية وكذا ما في سورة طه من آيات القصّة أنّ موسى غضب على هارون كما غضب على بني إسرائيل غير أنّه غضب عليه حسباناً منه أنّه لم يبذل الجهد في مقاومة بني إسرائيل لما زعم أنّ الصلاح في ذلك مع أنّه وصّاه عند المفارقة وصيّة مطلقة بقوله: ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾(٢) وهذا المقدار من الاختلاف في السليقة والمشية بين نبيَّين معصومين لا دليل على منعه، وإنّما العصمة فيما يرجع إلى حكم الله سبحانه دون ما يرجع إلى السلائق وطرق الحياة على اختلافها(٣).

غضب الأنبياء عليهم السلام وتألّمهم

نلاحظ أنّ غضب الأنبياء عليهم السلام كان لأجل الله سبحانه، وحسرة على الناس لضلالهم وكيف لا يرون آيات الله سبحانه ويهتدون إلى سواء السبيل، بل كانوا يعيشون حالة الحسرة والأسف واللوعة والألم الداخلي لأجل عدم رجوع الناس إلى الصراط السويّ، وقد قال الله سبحانه وتعالى مخاطباً نبيّه محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿... فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾(٤)، ويقول في آية ثانية: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(٥).

هكذا أنبياء الله وأولياؤه، يعيشون أعلى درجات الحسرة على الناس، ولا يغضبون لأنفسهم قطّ، وإنّما غضبهم لله تعالى.

---

(١) سورة طه، الآية: ٩٤.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٢.
(٣) الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي، ج٨، ص٢٥٠-٢٥٣.
(٤) سورة فاطر، الآية: ٨
(٥) سورة الشعراء، الآية: ٣.

ختام وعبرة

عندما نريد التأسّي بالعظام علينا أن نرقى بمشاعرنا وقوانا الباطنية ومنها الغضب إلى أن يكون على خطى الأولياء العظام، ليكون غضبنا لله سبحانه، ولأوليائه أيضاً، ولا بدّ أن لا يكون ذلك مجرّد لقلقة لسان بل لا بدّ أن ينزل ذلك إلى مستوى العمل، ونحاسب أنفسنا ونختبرها هل ترقى إلى هذا المستوى من الإحساس والشعور؟ فعلى سبيل المثال عندما يتعرّض الأنبياء العظام للإهانة والاستهزاء، وعندما تشوّه صورتهم الحقيقية وعندما تُهان نساؤهم وذرّيتهم ويُكذّب على لسانهم، هل يا ترى نتأذّى إلى درجة لا تقلّ عن تشويه صورتنا نحن الحقيقية، وعندما تهان نساؤنا ويكذّب على لساننا؟ وجواب ذلك موكول لكلّ منّا، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾[1].

كيف هي مشاعرنا تجاه رسول الله؟

هل نتأذّى ونغضب عندما يُستهان به ويُستهزأ به؟

كيف تكون ردّة فعلنا؟ وكيف يكون غضبنا؟

ماذا فعلنا نصرةً لنبيّنا؟

كلّ ذلك مسؤولون عنه يوم القيامة.

(١) سورة القيامة، الآيتان: ١٤ ـ ١٥.



ردة فعل شديدة تجاه عبادة العجل

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[1]

ولمّا عاد موسى عليه السلام إلى قومه غضبان ممّا صنع قومه من عبادة العجل، قال لهم: ضيّعتم ديني وأسأتم الخلافة ولمّا رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي. إنّ هذه الآية تفيد بوضوح أنّ موسى عند رجوعه إلى قومه من الميقات وقبل أن يلتقي ببني إسرائيل كان غضبان أسفاً، وهذا لأجل أنّ الله تعالى كان قد أخبر موسى عليه السلام بأنّه اختبر قومه من بعده وقد أضلّهم السامري قال: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾[2].

ثمّ إنّ موسى عليه السلام قال لهم: ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾[3]. للمفسّرين كلام كثير في تفسير هذه الجملة، وقد ذكروا احتمالات عديدة مختلفة، إلّا أنّ ظاهر الآيات يفيد أنّ المراد هو أنّكم تعجّلتم في الحكم بالنسبة إلى أمر الله تعالى في قضية تمديد مدّة الميقات من ثلاثين إلى أربعين، فاعتبرتم عدم مجيئي في المدّة المقرّرة - أوّلاً دليلاً على موتي، في حين كان يتعيّن عليكم أن تتريّثوا وتنتظروا قليلاً ريثما تمرّ أيّام ثمّ تتّضح الحقيقة. وفي هذا الوقت بالذّات، أي عندما واجه موسى عليه السلام هذه الأزمة الخطيرة من حياة بني إسرائيل، وكان الغضب الشديد يسري في كلّ

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٥٠ ـ ١٥١.

(٢) سورة طه، الآية: ٨٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

كيانه، ويثقل روحه حزن عميق، وقلق شديد على مستقبل بني إسرائيل، لأنّ التخريب والإفساد أمر سهل، وربما استطاع شخص واحد تخريب كيان عظيم ولكن الإصلاح والتعمير أمر صعب وعسير جدّاً. خاصّة أنّه إذا سرت في شعب جاهل متعنّت نغمة مخالفة شاذّة، وافقت هوى ورغبة، فإنّ محوها لا شكّ لن يكون أمراً ممكناً وسهلاً.

فهنا لا بدّ أن يُظهر موسى عليه السلام غضبه الشديد ويقوم بالحدّ الأعلى من ردّ الفعل والسخط، كي يوقظ الأفكار المخدّرة لدى بني إسرائيل، ويوجد انقلاباً في ذلك المجتمع الّذي انحرف عن الحقّ، إذ العودة إلى الحقّ والصواب عسيرة في غير هذه الصورة[1].

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي،ج ٥ ص ٢٢٧ و٢٢٨.



رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أهل بيته عليهم السلام

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

تمهيد

إنّ أهـل البيت عليهم السلام هم أولو الأمر الّذيـن أمر اللّه بطاعتهم، وهم الشهداء على الناس، وهم أبواب اللّه والسبيل إليه، والأدلاء عليه، وهم عيبة علمه، وتراجمة وحيه، وأركان توحيـده، وهـم معصومون من الخطـأ والزلل، وهم الّذيـن أذهب اللّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنّ لهم المعجزات والدلائل، وهم أمان لأهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، ومثلهم في هذه الأمّة كمثل سفينة نوح.

وقـد ورد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بقي ستّة أشهر بعد نـزول هذه الآية ينادي عند مروره من جنب بيت فاطمة عليها السلام وهو ذاهب إلى صلاة الصبح: «**الصلاة يا أهل البيت ! إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**»[1].

فيمن نزلت آية التطهير؟

إنّ هـذه الآية بالرغم من أنّهـا وردت ضمن الآيات المتعلّقة بنساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، إلّا أنّ تغيير سياقها - حيث تبدّل ضمير الجمع المؤنث إلى ضمير الجمع المذكر - دليل علـى أنّ لهذه الآية معنى ومحتوى مستقلّاً عن تلك الآيات، ولهذا فحتّى أولئك الّذين لم يعتبروا الآية مختصّة بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، فإنّهم

(١) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني،ج٢، ص١١.

اعتقدوا أنّ لها معنى واسعاً يشمل هؤلاء العظام ونساء النبيّ ﷺ. ولكنّ الروايات الكثيرة الّتي بين أيدينا تبين أنّ هذه الآية خاصّة بهؤلاء الأجلاء، ولا تدخل الزوجات ضمن الآية، بالرغم من أنهنّ يتمتعن باحترام خاصّ، و من هذه الروايات:

روي عن أمّ سلمة، أنّها قالت: «**نزلت في بيتي وفيه عليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، عليهم السلام فأخذ رسول الله ﷺ عباءة فجلّلهم بها، ثمّ قال: هؤلاء، أهل بيتي، أذهب الله عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيرا، فقلت: يا رسول الله ﷺ ألست من أهل البيت؟ فقال: إنّك على خير**»[1].

وعن ابن عباس: «**أنّها نزلت في عليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام**».

وقد وردت روايات كثيرة جدّاً بصورة مجملة في شأن حديث الكساء الّذي كان المناسبة لنزول آية التطهير، يستفاد منها جميعاً أنّ النبيّ ﷺ دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام - أو أنّهم أتوا إليه- فألقى عليهم عباءة وقال: «**اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فنزلت الآية:** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»[2].

ما هو الهدف من جمعهم تحت الكساء؟

إنّ قصّة الكساء لها أبعاد إيمانيّة ولطائف نورانيّة عظيمة، حيث إنّ النبيّ ﷺ جمع أهل بيته عليهم السلام تحت كسائه كما يجمع الأب أولاده في حضنه ليقيهم البرد ويشعرهم بالأمان والمحبّة، مشيراً في ذلك إلى عظمة وقدسيّة من هم تحت الكساء، كذلك أراد النبيّ ﷺ أن يحدّد هؤلاء ويعرّفهم تماماً، وليقول: إنّ الآية نزلت في حقّ هؤلاء خاصّة، لئلا يرى أحد أو يظنّ ظانّ أنّ المخاطب في هذه الآية كلّ من تربطه بالنبيّ ﷺ قرابة، وكلّ من يعدّ جزءاً من أهله، حتّى جاء في بعض الروايات أنّ النبيّ ﷺ قد كرّر هذه

---

(١) بحار الأنوار، م.س، ج٢٥،ص٢١٤.

(٢) شواهد التنزيل، ج٢، ص٣١ وما بعدها.

الجملة ثلاث مرّات: «**اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً**»[١].

هـذا هو مـراد النبيّ ﷺ مـن حصرهم تحت الكسـاء، ومنع حتّـى أمّ سلمة من الدخول معهم، كما ورد في روايات كثيرة، قاطعاً بذلك العمل الأبويّ الطريقَ على كلّ ادعاء بشمولها لغيرهم.

هم الخلفاء بعد النبيّ ﷺ

إنّ أهل البيت عليهم السلام الّذين ورثوا علم النبيّ محمّد ﷺ، وتحلّوا بأخلاقه، وعاشوا تحـت رعايتـه واهتمامه، وهـم الّذين حملوا رايـة الإسلام واستشهـدوا في سبيلها، وهـم الّذين نُصّبـوا بأمرٍ إلهيٍّ، واختيـروا من العليّ الأعلى ليكونوا قـادة وسادة أهل الوجـود، فمـع كلّ هذه الكرامات والشمائل أيُعقل أن لا يكونـوا هم الخلفاء والأوصياء بعـد النبـيّ ﷺ؟ وهم الأحقّ والأجـدر بقيادة الأمّة نحو الله عزّ وجـلّ، وهم الامتداد للخطّ النبويّ هذا كما جاء على لسان النبيّ ﷺ فقد ورد عنه ﷺ: «**في كلّ خلف من أمّتي عدل من أهل بيتي ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وأنّ أئمّتكم وقودكم إلى الله عزّ وجلّ فانظروا من توقدون في دينكم**»[٢].

وقال ﷺ: «**مثل أهل بيتي، كمثل نجوم السماء، فهم أمان لأهل الأرض، كما أنّ النجـوم أمـان لأهل السماء، فإذا ذهبت النجوم، طويت السماء، وإذا ذهب أهل بيتي خربت الأرض**»[٣].

وقوله: «**يا عليّ الإمامة فيكم، والهداية منكم**»[٤].

وقولـه ﷺ: «**إنّ مـن أهـل بيتي اثنـي عشر نقيباً نجبـاء، محدّثـون، مفهّمون، آخرهم، القائم بالحقّ عليه السلام**»[٥].

---

(١) الدر المنثور، السيوطي، ج٥، ص١٩٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٢٣، ص٣٠.

(٣) المعتبر، المحقق الحليّ، ج١، ص٢٤.

(٤) م.ن، ج١، ص٢٤.

(٥) الكافي، ج١، ص٤٤٨، ح١٨.

وقولـه ﷺ: **«إنّ الله تعالـى اختـار مـن الأيّـام يـوم الجمعـة ومـن الشهـور شهـر رمضـان ومـن الليالي ليلـة القدر، واختار مـن الناس الأنبيـاء والرسل، واختارنـي مـن الرسـل واختار منّـي عليّاً، واختار مـن عليّ الحسـن والحسين، واختـار مـن الحسيـن الأوصيـاء يمنعـون عـن التنزيـل تحريـف الغاليـن وانتحـال المبطلين وتـأوّل الجاهلين، تاسعهم باطنهـم ظاهرهم قائمهم وهو أفضلهـم»**[١].

من هم أهل البيت عليهم السلام

أهـل البيت عليهم السلام هـم الّذين جعل الله مودتهم أجر الرسالـة، فقال تعالى: ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[٢].

وقد ورد أنّه اجتمع المشركون في مجمع لهم، فقال بعضهم لبعض: أترون محمّداً يسـأل على مـا يتعاطاه أجراً؟ فنزلت الآية. فقيل: يا رسـول الله! من قرابتك هؤلاء الّذيـن وجب علينـا مودّتهم؟ قال: **«عليّ وفاطمة، وابناهمـا، حرمت الجنّة على من ظلـم أهـل بيتـي وآذاني في عترتـي. ألا ومن مات على حبّ آل محمّـد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مـات تائبـاً، ألا ومـن مات على حـبّ آل محمّد مـات مؤمناً مستكمـلاً للإيمان، ألا ومـن مـات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة. ثمّ منكر ونكير. ألا ومن مـات علـى حـبّ آل محمّد يزفّ إلـى الجنّة كما تـزفّ العروس إلى بيـت زوجها، ألا ومـن مـات على حبّ آل محمّد فُتح له بابان في قبره إلى الجنّة، ألا ومن مات على حـبّ آل محمّـد جعـل الله قبـره مـزار ملائكة الرحمـة، ألا ومن مات علـى حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة.**

ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من

(١) بحار الأنوار،ج٢٥،ص٣٦٣.

(٢) سورة الشورى،الآية: ٢٣.

رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة»[١].

سفينة نوح

وأمّا السفينة الّتي قدّرها الله تبارك وتعالى لنوح عليه السلام سبباً لنجاة من آمن معه من الماء، فإنّ الله سبحانه وتعالى جعل أهل بيت نبيّه ﷺ سفينة لنجاة أمّته من النار فقال ﷺ: «**ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق**»[٢].

وقوله ﷺ: «**إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق. وإنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل من دخله غفر له**»[٣].

بيّن ﷺ بذلك أنّ بهم نجاة أمّته كما كان بها نجاة قوم نوح عليه السلام من الغرق، وهذا دليل قاطع على أنّ الواجب اتباعهم والاقتداء بهم، لأنّ من آمن به واتبعه نجا، ومن لم يؤمن به ولم يركب السفينة هلك، ولمّا جعل نفس أهل بيته السفينة، وأمرهم بركوبها، دلّ على أنّهم المقتدى بهم، وهذا واضح وظاهر من الرواية.

وممّا يأخذ بالأعناق إلى أهل البيت عليهم السلام، ويضطرّ المؤمن إلى الانقطاع في الدين إليهم، قول رسول الله ﷺ: «**النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمّتي من الاختلاف (في الدين) فإذا خالفتها قبيلة من العرب - يعني في أحكام الله عزّ وجلّ - اختلفوا فصاروا حزب إبليس**»[٤].

---

(١) تفسير الكشّاف،ج ٢، ص٣٣٩، كذلك ينظر: أرجح المطالب: ص ٣٢٠، وفرائد السمطين،ج ٢،ص٤٩، ومقام أمير المؤمنين،ص ٤٤ - ٤٥.

(٢) أخرجه الحاكم بالإسناد إلى أبي ذر ص ١٥١ من الجزء الثالث من صحيحه المستدرك.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد وهذا هو الحديث ١٨ من الأربعين الخامسة والعشرين من الأربعين أربعين للنبهاني ص ٢١٦ من كتابه الأربعين أربعين حديثاً.

(٤) أخرجه الحاكم في ص ١٤٩ من الجزء الثالث من المستدرك عن ابن عباس، ثمّ قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

هـذا غاية ما فـي الوسع من إلـزام الأمّة باتباعهم، وردعها عـن مخالفتهم. ولا يوجد في لغات البشر كلّها أدلّ من هذا الحديث على ذلك.

غدير خم وحكمة النبيّ ﷺ

إنّ النجـاح النبـويّ الساحق يظهر بإبراز من سيخلفه فـي الوقت نفسه الّذي كان فيـه رسول اللّه ﷺ يركّز على حقيقة وطبيعة المكانة الخاصّة المميّزة الّتي اختارها اللّه لأهـل بيته، فـكان النبيّ ﷺ يسلّط أضواء ربانيّة خاصّة على الأئمّة من أهل بيت النبـوّة، فيقدّمهم من خلال تركيزه الخاصّ عليهم كقادة شرعيّين للأمّة، وقد ساق رسـول اللّه ﷺ الخطّين معاً، فعمّم المكانة السامية لأهل بيت النبوّة، وأبرز المكانة الخاصّـة للأئمّة الأعلام منهـم. فبيّن أنّ أهل بيت النبوّة هـم المطهّرون، وهم أولو القربـى الّذين فرض اللّه مودّتهم، وهـم الأبناء والنساء والأنفس الّذين عنتهم آية المباهلـة، وهم الأبـرار الّذين عنتهم آية الإطعام، وهم أولـو الأمر الّذين فرض اللّه طاعتهم، وهم أهل الذكر... إلخ.

ولأنّ منصـب من يخلف النبيّ ﷺ هو حجـر الأساس لنظام الحكم في الإسلام، ولقطع الطريق على أعداء اللّه السابقين الّذين تستّروا بالإسلام، وحتّى لا تكون لهم حجّة يحتجّون بها أمام اللّه، فقد أمر اللّه رسوله ﷺ بأن ينصّب ويتوّج عليّاً عليه السلام إمامـاً من بعده، وأن يكلّـف المسلمين بمبايعته فرداً فـرداً تحت إشراف الرسول ﷺ شخصيّـاً، فصدع الرسول ﷺ بأمـر ربّه بعد أن أكمل رسول اللّه ﷺ والمسلمون شعائر فريضـة الحـجّ، ولأنّ الرسول ﷺ قد أعلن بأنّ حجّته تلك هـي حجّة الوداع، وأنّه لن يراهـم أبداً بعـد هذا العام، فقـد تعلّقت به القلـوب والأبصـار، وأرادوا أن يتزودوا مـن النظر إليه، وأن يسمعـوا كلّ كلمة يقولها. خرج النبيّ ﷺ مـن مكّة متوجّهاً إلى المدينـة، وتبعته وفـود الحجيج، وفي مكان يُدعى غدير خـم، أناخ النبيّ ﷺ ركابه، وأمـر بردّ الّذين سبقوه بالسيـر، وباستعجال الّذين تأخّروا عنـه، وأحيط المسلمون علمـاً بأنّ الرسـول ﷺ سيصدر بيانه الأخير، وتلخيصـه للموقف، من خلال خطبة

سيلقيها أمام الجموع. واحتشد المسلمون بالفعل في غدير خم وجاوز عددهم بأقل التقديرات مائة ألف مسلم ومسلمة، وبعد قليل ظهر النبيّ ﷺ وإلى جانبه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والناس جلوس، والنبيّ ﷺ وعليّ في حالة وقوف، في مكان مكشوف ومرئيّ من كلّ الناس. خشعت الأصوات، فلا تسمع همساً، العيون معلّقة بالنبيّ ﷺ وبعليّ والجميع يتساءلون، لماذا جمع رسول الله الناس؟! وأي أمر خطير يريد أن يعلنه؟ حمد رسول الله ﷺ، الله وأثنى عليه ثمّ قال: «**كأنّي قد دعيت فأجبت... أيّها الناس إنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب!..**». لقد تأكّد المسلمون السامعون من أنّ الرسول ﷺ سيموت لا محالة، فتابعوا بشغف واهتمام كلّ كلمة كانت تخرج من فم الرسول ﷺ. ثمّ تابع الرسول ﷺ خطبته قائلاً: «**وإنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه النور والهدى فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، وعترتي أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي**». وفجأة سأل رسول الله ﷺ الجموع المسلمة المحتشدة أمامه قائلاً: «**أيّها الناس من وليّكم؟**» فردّت الجموع بصوت واحد: «**الله ورسوله**»، وهنا أخذ الرسول ﷺ بيد عليّ عليه السلام فأقامه ثمّ قال: «**من كان الله ورسوله وليّه فهذا عليّ وليّه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه**».

ومرّة أخرى سأل الرسول ﷺ المسلمين: «**ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقال المسلمون: بلى! وسألهم الرسول ﷺ ثانية: ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟ فقال المسلمون بلى، فرفع الرسول ﷺ يد عليّ بن أبي طالب**» وقال: «**من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه**». ثمّ قال الرسول ﷺ: «**أيّها الناس إنّي وليّكم، قال الناس نعم، فرفع الرسول ﷺ يد عليّ بن أبي طالب**» وقال: «**هذا وليّي ويؤدّي عني، وأنا موال من والاه، ومعاد من عاداه**». ثمّ أكّد الرسول ﷺ الحقيقة الّتي اتّفق عليها الجميع فقال: «**إنّ الله، مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه،**

اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه».

بعـد أن انتهت مراسم تنصيب وتتويج مـن سيخلف رسول اللهﷺ، هبط جبريل ومعـه آيـة الإكمـال ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[1] وصار يوم الغدير عيداً.

وفي الختام علينا أن نعلم أنّ الله عزّ وجلّ الّذي جعل النبيّﷺ نبيّاً هو الّذي جعل عليـاً إمامـاً، وأن نصب الإمام وإقامتـه واختياره إلى الله عزّ وجـلّ، وأنّ فضله منه. ويجـب أن نعتقد أنّه يلزمنا من طاعـة الإمام ما يلزمنا من طاعة النبيّﷺ، وأنّ كلّ فضـل آتـاه الله عزّ وجلّ نبيّه فقد آتاه الإمام إلّا النبـوّة، ويجب أن نعرف أنّ بهم فتح الله، وبهم يختم.



حديث جابر مع السيّدة الزهراء عليها السلام

عـن أبي بصير، عن أبي عبـد الله عليه السلام قال: قال أبي عليه السلام لجابر بن عبد الله الأنصـاري: إنّ لي إليك حاجة فمتى يخفّ عليك أن أخلو بك فأسألك عنها، فقال له جابـر: في أيّ الأوقات شئت، فخلى بـه أبو جعفر عليه السلام، قال له: «**يا جابر أخبرني عـن اللـوح الّـذي رأيته في يد أمـي فاطمة بنت رسول اللهﷺ ومـا أخبرتك به أنّه فـي ذلـك اللوح مكتوباً، فقال جابر: أشهد بالله أنّي دخلت على أمّك فاطمة عليها السلام في حياة رسول اللهﷺ أهنّئها بولادة الحسين عليه السلام فرأيت في يدها لوحاً أخضر ظننت أنّه من زمرّد، ورأيت فيه كتابة بيضاء شبيهة بنور الشمس، فقلت لها: بأبي أنـت وأمـيّ يـا بنت رسول الله ما هذا اللوح؟ فقالـت: هـذا اللوح أهداه الله عزّ وجلّ**

(١) سورة المائدة، الآية ٣.

إلـى رسولـه ﷺ فيه اسم أبـي واسم بعّلي واسم ابني وأسمـاء الأوصياء من ولدي، فأعطانيه أبي ليسرّني بذلك.

قـال جابر: « **فأعطتنيه أمّك فاطمة عليها السلام فقرأته وانتسخته فقال له أبي عليه السلام : فهل لـك يا جابر أن تعرضـه عليّ؟ فقال: نعم، فمشى معـه أبي عليه السلام حتّى انتهى إلـى منـزل جابـر فأخـرج إلـى أبي صحيفة مـن رقّ، فقـال: يا جابر انظـر أنت في كتابـك لأقـرأه أنا عليك، فنظـر جابر في نسخته فقرأه عليـه أبي عليه السلام فوالله ما خالف حرف حرفاً، قال جابر: فإنّي أشهد بالله أنّي هكذا رأيته في اللوح مكتوباً:**

بسم الله الرحمن الرحيم

هــذا كتاب من الله العزيــز الحكيم لمحمّد نوره وسفيــره وحجابه ودليله، نزل به الــروح الأمين من عنـد ربّ العالمين، عظّم يـا محمّد أسمائي، واشكـر نعمائي، ولا تجحـد آلائي، إنّي أنـا الله لا إله إلّا أنا قاصـم الجبّارين «**ومبيـر المتكبّرين ومذلّ الظالمين وديّان يوم الدين، إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا فمن رجا غير فضلي، أو خاف غيـر عدلي عذّبتـه عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين، فإيّـاي فاعبد وعليّ فتوكّل، إنّـي لـم أبعث نبيّاً فأكملـت أيّامه وانقضت مدّته إلّا جعلت لـه وصيّاً وإنّي فضلتك علـى الأنبيـاء، وفضلت وصيّك على الأوصياء وأكرمتـك بشبليك بعده وبسبطيك الحسن والحسين، وجعلت حسناً معدن علمي بعد انقضاء مدّة أبيه، وجعلت حسيناً خـازن وحيـي، وأكرمتـه بالشهـادة، وختمت له بالسعـادة، فهو أفضل مـن استشهد وأرفـع الشهـداء درجة، جعلـت كلمتي التامّة معـه، والحجّة البالغـة عنده، بعترته أثيب وأعاقب، أولهم عليّ سيد العابدين، وزين أوليائي الماضين، وابنه سمّي جدّه المحمـود، محمّد الباقر لعلمـي والمعدن لحكمتي، سيهلـك المرتابون في جعفر الراد عليه كالراد عليّ، حقّ القول منّي لأكرمنّ مثوى جعفر، ولأسرّنه في أوليائه وأشياعـه وأنصـاره وانتحبت بعـد موسى فتنة عمياء حندس، لأنّ خيط فرضي لا**

ينقطع وحجّتي لا تخفى، وأنّ أوليائي لا يشقون أبداً، ألا ومن جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي، ومن غيّر آية من كتابي فقد افترى عليّ، وويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدّة عبدي موسى وحبيبي وخيرتي، (ألا) إنّ المكذّب بالثامن مكذّب بكلّ أوليائي. وعليّ وليّ وناصري، ومن أضع عليه أعباء النبوّة وأمتحنه بالاضطلاع، يقتله عفريت مستكبر، يدفن بالمدينة الّتي بناها العبد الصالح ذو القرنين إلى جنب شرّ خلقي، حقّ القول منّي لأقرّن عينه بمحمّد ابنه وخليفته من بعده، فهو وارث علمي ومعدن حكمتي وموضع سرّي وحجتي على خلقي، جعلت الجنّة مثواه وشفعته في سبعين من أهل بيته كلّهم قد استوجبوا النار، وأختم بالسعادة لابنه عليّ وليّي وناصري، والشاهد في خلقي، وأميني على وحيي، أخرج منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن، ثمّ أكمل ذلك بابنه رحمة للعالمين، عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيّوب، ستذلّ أوليائي في زمانه ويتهادون رؤوسهم كما تهادى رؤوس الترك والديلم فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين مرعوبين وجلين، تصبغ الأرض من دمائهم، ويفشو الويل والرنين في نسائهم أولئك أوليائي حقّاً، بهم أدفع كلّ فتنة عمياء حندس، وبهم أكشف الزلازل، وأرفع عنهم الآصار والأغلال، أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وأولئك هم المهتدون»[(١)].

(١) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص٣١١.



أهمّية الصلوات

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[1]

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٥٦.

تمهيد

أغلب الأدعية والمناجاة والزيارات الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، تبدأ بالصلاة على محمّد وآل محمّد أو تختم بها، فالصلاة على النبيّ وآله من الآداب العامّة الّتي يراعيها الداعي قبل وبعد أيّ دعاء، والصلوات أيضاً قد يتكرّر ذكرها في أثناء المناجاة والأدعية، تماماً كما في كثير من أدعية الصحيفة السجّاديّة الواردة عن الإمام زين العابدين عليه السلام.

وقد بلغت الصلوات درجة من الأهمّيّة حتّى أصبحت جزءاً من التشهّد، وتبطل الصلاة فيما لو تُركت عمداً، وهذا ما أشار له الشافعيّ ـ وهو أحد الأئمّة الأربعة عند أهل السنّة ـ في شعره بمدح أهل البيت عليهم السلام قائلاً:

كفاكم من عظيم القدر أنّكم   من لم يصلّ عليكم لا صلاة له[1]

فالصلاة الّتي هي علاقة فرديّة وشخصيّة مع الله سبحانه نجد أنّه لا بدّ أن تُذكر الصلوات فيها، وهذا الوجوب في التشهّد ليس حكماً خاصّاً بأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وإنّما هو حكم متّفق عليه لدى الفريقين الشيعة والسنة.

---

(١) ينابيع المودّة، ج ٣، ص ١٠٣.

بعض الملاحظات حول الصلوات

ولأجل هذه العلاقة الخاصّة ينبغي الإشارة إلى بعض الملاحظات حول الصلوات.

الملاحظة الأولى

ورد من جملة آداب الدعاء أن تُذكر الصلوات قبل وبعد الدعاء وذلك لأجل استجابة الدعاء، وقد ذكر في بيان هذا الأمر أنّه الدّعاء الّذي تُذكر الصلوات قبله وبعده في الحقيقة هو ثلاثة أدعية، لأنّ معنى الصلوات هو طلب الرحمة الخاصّة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام ، وهذه الصلوات وبعبارة ثانية هذان الدعاءان قبل وبعد الدعاء من المؤكّد أنّها محلّ العناية الإلهيّة ومورد القبول والإجابة، وذلك لأنّه لا يُعقل ولا يمكن أن لا يستجيب الله سبحانه أخلصَ الأدعية لأفضل عباده وهم النبيّ وأهل بيته الأطهار، ومِن البعيد عن ساحة الفضل والكرم والجود الإلهيّة أن لا يستجيب الدعاء الّذي هو في الوسط بين الدعاءَين، طبعاً فيما لو كان هذا الدعاء الشخصيّ مستوفياً لكلّ شرائط الإجابة، ولم يكن بصدد طلب معصية أو على خلاف المصلحة الشخصيّة أو خلاف مصالح الآخرين.

وعليه سيكون هذا الدعاء الّذي في الوسط مظنّة الإجابة، ويكون محلّ العناية الإلهيّة والسمع الإلهيّ.

سؤال وجواب

ما هي حكمة الصلوات في التشهّد؟ علماً أنّ هذه الصلوات ليس قبلها ولا بعدها أيّ دعاء خاصّ، وإنّما هي واقعة بعد ذكر الشهادتين: «**أشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، اللهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد**»، وقد ورد بعدها السلام وهو: «**السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**»، وكذلك الأمر بالنسبة للصلوات المذكورة في الآية القرآنية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ

﴿يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[١]، حيث لا يوجد أيّ دعاء لنا، ولا أيّ طلب أو حاجة خاصّتين بنا، فما هي حكمة هذه الصلوات؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال لا بدّ من بيان ثلاث مقدّمات:

١. إنّ كلّ إنسان عاقل يضع هدفاً لأيّ عمل يقوم به عن اختيار منه، وعليه فإنّ الداعي لا بدّ أن يكون هادفاً وقاصداً لاستجابة دعائه.

٢. نحن لا نعلم شيئاً عن الدعاء الّذي ندعو به، هل يصبّ في مصلحتنا أولا، وعليه هل يُقبل أو لا، لكنّنا نعلم علم اليقين أنّ الصلوات يستجيبها اللّه سبحانه، من هنا فالإنسان العاقل عليه أن يدعو الدعاء الّذي يستجيبه اللّه تعالى.

٣. عندما نقوم بالصلوات على رسول اللّه وأهل بيته عليهم السلام ففي الواقع نحن نطلب الرحمة لهم عليهم السلام، ويُعتبر ذلك بمثابة الهديّة لهم عليهم السلام وهم خير من تأدّب وتخلّق بالأخلاق الإلهيّة، الّتي منها ما وردت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾[٢].

لذلك فإنّ مقتضى كرم أهل البيت عليهم السلام أن يقوموا بردّ هديّتنا بل ومضاعفتها لنا، ويقومون بالدعاء لنا نحن، ومن المؤكّد أنّ دعاءهم مستجاب إن شاء اللّه تعالى.

وعليه لو قمنا بالدعاء لأنفسنا فلا نعلم أنّه مستجاب أم لا، ولكن لو قام النبيّ وأهل بيته الأطهار بالدعاء لنا، فإنّ دعاءهم مستجاب بإذن اللّه تعالى.

إذاً بحكم العقل إن كنّا بصدد طلب المنفعة لأنفسنا، علينا أن نبدأ بالصلوات على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام مع غضّ النظر عن إدراج دعائنا الشخصيّ بين الصلوات في الابتداء والصلوات في ختام الدعاء.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

الملاحظة الثانية

إنّ الدعـاء بالصلوات على النبيّ ﷺ وأهـل بيته الأطهار عليهم السلام ترجع مصلحتها للإنسـان الداعي، وذلك لأنّ الداعي يقوم بطلب الرحمة للنبيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام ووجودهـم المقدّس مليء بالرحمة الإلهيّة ولا يحتـاج وأيّ إضافة عليه، لذا فإنّ هذه الرحمـة عندما تُفاض عليهم سوف ترشح وتفيض منهم عليهم السلام إلى غيرهم ممّن هو متعلّـق بهم ويعدّ تابعـاً وتحت ولايتهم، ولو أردنا تشبيه هـذه الحالة فإنّ أفضل مثال لهـا هـو شخص عنده كـوب مليء بالماء، فكلّمـا سُكب ماء داخل الكـوب فإنّه سوف تفيض على الصحن الّذي تحته، والّذي يستفيد من هذا الماء المسكوب هي الموجودات المتعلّقـة أو الموجودة بالصحن؛ وعليه فإنّ من يدعو ويصلّي على النبيّ ﷺ وأهل بيته تعـود نفع هذه الصلـوات إليه، لأنّ وجودهم مليء بالرحمة فتفيض منهم عليهم السلام على الشخص الداعي، ولذلك ورد في الدعاء: «**اللهم صلِّ على محمّد وآل محمّد صلاة تغفر بها ذنوبنا، وتصلح بها عيوبنا...**»[١].

ونتيجـة ما تقدّم: إنّ الصلوات علـى النبيّ ﷺ وآل بيته عليهم السلام ترجع فائدتها إلى شخص الداعي، هذا بالإضافة إلى أنّ هذه الهدية الّتي يُقدّمها لهم عليهم السلام يقابلونها بالهدية وبالدعاء له ويستفيد أكثر من هذا الدعاء.

الملاحظة الثالثة

عندمـا يريـد إنسانٌ أن يطلب شيئاً ما من رجل عظيم أو جليل وفي نفس الوقت لا يرى لنفسه أنّه أهل لهذا الطلب، أو يليق بأن يطلب من هذا العظيم، فإنّه ينبغي عليه - بناء لما في علم النفس - أن يلفت نظر هذا العظيم أوّلاً، ثمّ يقوم بطلب حاجته منه، وعلـى سبيل المثـال، يبدأ أوّلاً بإظهار المحبّة له، والعلاقـة به، والطاعة وغير ذلك، ويسعى قدر الإمكان لتهيئة الظروف شيئاً فشيئاً حتّى تحين الفرصة في طلب حاجته.

---

(١) المراقبات، السيد ابن طاووس، ج ١، ص ٧٦.

ونحن ـ الناس ـ لا نملك اللياقة أن نطلب من اللّه سبحانه، ولا نستحقّ منه الإجابة؛ وذلك بسبب ما ارتكبناه من ذنوب، وتجرّأنا بالمعاصي، وواجهناه بالسيّئات، وفي نفس الوقت ليس لدينا سبيل غير الطلب منه سبحانه، لذلك لا بدّ من تحصيل هذه اللياقة للطلب، وأفضل وسيلة هي طلب الرحمة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، فبطلب الرحمة لهم وإظهار المحبّة لهم نستطيع تحصيل لياقة الطلب من اللّه سبحانه.

وحقيقة المسألة هي أنّ الصلوات تعطينا الجرأة للحديث مع اللّه سبحانه وأن نطلب حاجاتنا في محضر العظمة الإلهيّة، وقبل أن نقوم بأيّ طلب لأنفسنا نبتدئ بطلب الرحمة لأحبّائه وأوليائه، وهذا الأسلوب هو المستخدم في ميدان المحبّة والعشق، حيث يستخدم أسلوب الإيثار ولغة المحبّة والرحمة، فكأنّنا نقول لأهل البيت عليهم السلام: «**نحن وإن كنّا عين الفقر والحاجة، وغارقين في مستنقع الاحتياج، لكن مع ذلك نطلب من اللّه سبحانه أن يتفضّل عليكم بالرحمة والخير، وما هذا الدعاء والإيثار الصادر منّا إلّا إبرازاً وتعبيراً لشدّة محبّتنا لكم**».

إذاً عندما لم يكن أهل بيت النبوّة عليهم السلام بحاجة لدعائنا وطلبنا لهم من اللّه، ولكن دعاءنا لهم يشبه تصرّف الفقير المسكين الّذي يقف أمام دار أحد الأغنياء ويقول له: «**اللّه يطيل عمرك ويعطيك الصحة والسلامة، اللّه يرزقك من ماله...**» فإنّ هذا التصرّف من الفقير والطلب من اللّه سبحانه ليس إلّا للفت نظر الغنيّ، لذلك لا يقول الغنيّ أبداً: «**إنّني سالم وصحّتي جيّدة وما عندي من مالٍ يكفيني و...**» وذلك لأنّه يعلم أنّ هذا الفقير لا يستطيع عمل شيء غير هذا الدعاء، وهذا النحو من الأدعية لا يمكن تفسيرها وتحليلها بالطرق العقلية، وهي ليست سوى بيان للمحبّة وإبراز للعشق ولفت للانتباه.

بعض آثار الصلوات

١- **كفّارة الذنوب:** عن الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: «**الصلاة على**

النبيّ ﷺ أمحق للخطايا من الماء للنار، والسلام على النبيّ ﷺ أفضل من عتق رقاب»[١].

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «**من لم يقدر على ما يكفّر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمّد وآل محمد فإنّها تهدم الذنوب هدماً**»[٢].

عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلّى عليّ إيماناً واحتساباً استأنف العمل**».[٣]

٢- **محبّة الله:** عن عبد العظيم الحسني قال: سمعت عليّ بن محمّد العسكري عليه السلام يقول: «**إنّما اتّخذ الله عزّ وجلّ إبراهيم خليلاً لكثرة صلاته على محمّد وأهل بيته صلوات الله عليهم**»[٤].

٣- **تعديل الميزان:** عن الإمام جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا عند الميزان يوم القيامة، فمن ثقلت سيّئاته على حسناته جئت بالصلاة عليّ حتّى أثقل بها حسناته**»[٥].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمّد وآل محمّد، وإنّ الرجل لتوضع أعماله في الميزان فتميل به فيخرج ﷺ الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فترجح**»[٦].

٤- **زيادة الحسنات:** عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «**وجدت في بعض الكتب: من صلّى على محمّد وآل محمّد كتب الله له مائة حسنة، ومن قال:**

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج٧، ص١٩٤.
(٢) م.ن، ج٧، ص١٩٥.
(٣) م.ن، ج٧، ص١٩٧.
(٤) م.ن، ج٧، ص١٩٤.
(٥) م.ن،ج٧، ص١٩٦.
(٦) م.ن، ج٧، ص١٩٢.

صلّى الله على محمّد وأهل بيته، كتب الله له ألف حسنة»[١].

٥- تذهب بالنفاق: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي تذهب بالنفاق**»[٢].

وعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ارفعوا أصواتكم بالصلاة عليّ فإنّها تذهب بالنفاق**»[٣].

---

(١) الوسائل م.س، ج٧، ص١٩٦

(٢) م.ن، ج٧، ص١٩٣.

(٣) م.ن، ج٧، ص١٩٣.



قصّة عن الحاج الميرزا عليّ هستيي الأصفهاني

هـو ذلك المجتهد الحكيم وأحد الوعّاظ المعروفين ومدرّس كتاب الأسفار. ينقل الشيـخ محمّـد تقي مصباح اليزدي أنّـه كان تحت سنّ العشريـن وكان يتردّد أحياناً لسماع درسه في طهران في مسجد الحاج السيد عزيز الله، وقد سأله في أحد الأيّام هذا السؤال وهو أنّه ما هي حاجة أهل البيت عليهم السلام لدعائنا لهم بطلب الرحمة وهم عندهم كلّ أنواع الرحمة؟

لقد لاحظ الميرزا عليّ في ذلك الوقت أنّي شاب حدث السن ولم أبلغ درجة علمية عالية، فلذلك شجّعني على سؤالي هذا، وأجابني على قدر استيعابي آنذاك قائلاً: «**لو كان هناك بستانيّ يعمل في بستان لبعض الملّاك والأغنياء، ويقوم بزراعة الورود وتنسيقها ورعايتها، فإذا جاء يوم ما أصحاب الأرض والورود ودخلوا بستانهم ليروا جماله وتنسيقه يقوم هذا البستانيّ بأخذ باقة من الورود وينسّقها ويقدّمها لهم بكلّ أدب واحترام متأهّلاً بهم ومسلّماً عليهم، وهذا التصرّف منه نوع من إظهار الأدب وإبراز الاحترام، وإلّا فإنّ الأرض والورود وكلّ ما في البستان هو ملك لهم، والبستاني، ليس إلّا عاملاً عندهم، ونحن عندما نقوم بذكر الصلوات فإنّما نقطف باقة من حديقة أهل البيت عليهم السلام ونهديها لهم**». وهذا الكلام بنفسه يجري في تفسير «**وعجّل فرجهم**»، لأنّ في فرجهم عليهم السلام فرج أهل الإيمان[1].

---

(١) شرح المنجاة الشعبانية، الشيخ أحمد تقي مصباح اليزدي.

الفهرس